جامعة الأزهر

حولية كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بالشرقية

جهود المُحْدَثين في تنمية الثروة اللفظية

محمد حسن جبل (ت ١٤٣٦هـ) نموذجا

الدكتور/ محمد موسى السعيد جباره

الأستاذ المساعد بقسم أصول اللغة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالدقهلية

العدد الثالث

للعام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله أصحابه أجمعين.

أما بعد..

فإنّ الحضارة المادية تقذف إلينا ـ نحن العرب ـ بالجديد كل يوم من المخترعات الحديثة القادمة إلينا عابرةً المحيطات من أماكن شتَّى، وأصبح لزامًا علينا – على الأقلّ إذ لم نكن مشاركين في هذه المخترعات بالابتكار والتّصْنيع– أنْ نضع لكلّ مُسَمًّى اسْمًا يُمَيِّزه من غيره، ولا ينبغي أن نقنع باسمه الأعجميّ الذي وَرَدَ إلينا به، فلغتنا العربية تمتلك قدرة فائقة على مواكبة هذه النهضة العلمية والتقنية، فقد أثبتت قديمًا – في عصر صدر الإسلام وما تلاه- قدرتها على استيعاب ما يَجِدّ في المجتمع من أفكارٍ وأشياء، فنحن إنْ لمْ نفعلْ كنّا مُقَصِّرين في حقّ أنفسنا وحقّ لغتنا، وقبل ذلك في حق ديننا وقرآننا، وما أَصْدَقَ أحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٤هـ) في قوله: (لا شك في أنّ مفردات العربية غير تامّة بالنّظر إلى ما اسْتُحْدث بعد العرب من الفنون والصنائع، مما لم يكن يخطر ببال الأوّلين، وهو غير شَيْن على العربية؛ إذ لا يحتمل أنّ واضع اللغة يضع أسماء لمسميات غير

موجودة، وإنما الشَّيْن علينا الآن في أنْ نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية، مع قدرتنا على صوغها من لغتنا).([1])

وها هو أحد الباحثين المحدثين يستنهض هِمَمَ الغيورين على اللغة العربية، ليقوموا بواجبهم نحوها، فيضعوا أسماء لما يُسْتجدّ في حياتهم، فيقول: (وما دام أسلافنا وضعوا لبعض المسميات مئات المفردات، فليضع المعاصرون أسماء للمسميات الحديثة، التي وقفنا أمامها لكثرتها دهشين؛ عاجزين عن استحداث ألفاظ للمخترعات الحديثة ... ولتكون نهضتنا اللغوية صحيحة يجب أنْ نُصْحِبَهَا بنهضة أكبر من التأليف والطبع والنشر، وذلك بأن نستقبل الجديد ونجد أسماء له عن طريق الوضع أو التعريب أو الاشتقاق، مع المحافظة على أصول العربية وقواعدها وأبنيتها).([2])

ورغم اعترافنا بأنّ مجال تنمية الثروة اللفظية لا يزال في أمَسّ الحاجة إلى تضافر الجهود، والتعاون المخلص من أبناء العربية، وبذل مزيد من الوسع والطاقة، فإنّ هذا البحث يَنْشُدُ التنبيه إلى أنّ كثيرًا من اللغويين المحْدَثين بذلوا جهودًا مشكورة في هذا المجال، لعلها بداية من تحقيق كتب القدماء ودواوين الشعراء؛ لأنّ في ذلك بعثًا للألفاظ من مراقدها، وإتاحتها للمشتغلين بالدراسات اللغوية عمومًا، والمهتمين باستحداث الألفاظ على وجه الخصوص.

([1]) كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، أحمد فارس الشدياق ١/ ٢٠٢، ط، ١٢٨٨هـ، مطبعة الجوائب، الآستانة العلية.

([2]) مقدمة الصحاح ومداس المعجمات العربية، أحمد عبد الغفور عطار ص٢٦، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

ومن هؤلاء المحدثين الذين لهم جهودٌ في ميدان الدرس اللغوي عمومًا: الدكتور محمد حسن جبل، وقد تنوعت جهوده، فمنها:

- ما كان مُهْتَمًّا بتنمية الثروة اللفظية نظريًّا، بالدعوة إلى ذلك وتأصيله، وتطبيقيًّا باقتراح أسماء لبعض المسميات الحديثة.(١)
- أو رَأْي انفرد به(٢).
- أو نظرية استنبطها من أقوال القدماء(٣).
- أو استدراك على المعاجم العربية.(٤)

---

(١) وهو موضوع هذا البحث.

(٢) كما في تقسيمه الاشتقاق الصغير إلى: لفظي وهو: ما تكون ثمرته لفظية فقط تتمثل في إنشاء صيغة جديدة توجِّه المعنى الحرفيّ للمأخذ، ودلالي وهو: ما تكون ثمرته دلالية بأن تكون الكلمة المشتقة ذات معنى (= دلالة) جديدة، مستمدّة من معنى المأخذ. ينظر: علم الاشتقاق، د. محمد حسن جبل، ص٤٢، ٤٣، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٣) جهده في هذا المجال يتمثل في إبراز نظرية المعنى العربية، أخذًا مما قرره أئمة متقدمي العرب. ينظر: المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن جبل، ص٦١ وما بعدها، ط١، ١٤١٦هـ ٢٠٠٥م، مكتبة الآداب، القاهرة. كما يتمثل في: تعليل الأسماء، وقد استفاد رأْسَ هذه النظرية من مقولةٍ لابن الأعرابي (ت٢٣١هـ). ينظر: تعليل الأسماء، د. محمد حسن جبل ص٢١، ط، التركي، طنطا.

(٤) ينظر: كتابه: الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس، دار الفكر العربي، القاهرة. وتجدر الإشارة – هنا – إلى أنّ الدكتور أحمد رزق السواحلي قام بدراسة هذه المستدركات ونَقْدها، وذلك في كتابه: أصول الاستدراك اللغوي دراسات في المستدرك على المعجمات العربية، ص٢٩٨ وما بعدها، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. وقد عرضت هذا النقد في موطنه من هذا البحث. ينظر: ص٤٥ وما بعدها من هذا البحث.

- أو ترجيح رأي.([1])

- ومِنْ أجَلّ جهوده اللغوية: استنباطه المعنى المحوريّ لألفاظ القرآن الكريم.([2])

- وغير ذلك من جهود تُذْكَر فَتُشْكر.([3])

وقد وجدتُ لديّ رغبة في عَرْض جهوده النظرية والتطبيقية في ميدان تنمية الثروة اللفظية وإبرازها، وزكّى ذلك عندي عدة أسباب منها:

- الإشارة إلى ذلك الجهد الذي بذله المعاصرون في تنمية الثروة اللفظية للغة العربية، متمثلاً في جهد الدكتور جبل، في جانبيه النظريّ والتطبيقيّ.

([1]) من ذلك على سبيل المثال: ترجيحه رأي القدماء في وصف الهمزة بالجهر. ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، د. محمد حسن جبل، ص٨٨، ٨٩ ، ط٢، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م، دار الصحابة، طنطا.

([2]) خصص لهذا الجهد: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، ط١، ٢٠١٠م، مكتبة الآداب، القاهرة.

([3]) مثل: قضية: الاحتجاج بالشعر التي خصها بكتابه: الاحتجاج بالشعر الواقع ودلالته، ط، دار الفكر العربي، القاهرة. وقضية: خصائص اللغة العربية، في كتابه خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق، ط، ١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة. وهذا الكتاب عرض الدكتور محمد صالح الشنطي محتوياته عرضًا موجزًا وأثنى عليه ووصفه بأنه كتاب قيّم، كما أثنى على مؤلِّفه، وذلك في كتابه: المهارات اللغوية مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها، د. محمد صالح الشنطي ص١١٧: ١٢٥، ط٥، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، دار الأندلس، حائل، المملكة العربية السعودية. أما قضية نقد الاستغراب، فقد خصّها بكتابه: نقد الاستغراب في الدراسات اللغوية، ط، التركي، طنطا. ودفع مطاعن المستشرقين على القراءات القرآنية، في كتابه: الردّ على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. وغير ذلك كثير.

- توجيه النظر إلى مناقشة هذا الجهد في جانبه التطبيقيّ خاصّة؛ لاعتماده في إطلاقه على مُسَمَّيَاته، أو اعتماد ما يُتَّفَق عليه من هذا الجهد.

- العَمَل على شيوع هذه الأسماء المقترحة لتأخذ مكانها في متن اللغة، ويتمّ استعمالها تَحَدُّثًا وكتابة.

وبناء على ذلك فقد رجعت إلى مؤلفاته وجمعت منها ما يخصّ تنمية الثروة اللفظية، وكان معظمها في كتابين هما: علم الاشتقاق، والاستدراك على المعاجم العربية، وقسّمتُ ما وجدته من ذلك إلى قسمين: أحدهما: نظريّ، والآخر: تطبيقيّ.

وجاءت خطة البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

أما المقدمة فذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث ومنهجه.

وخصصت **المبحث الأول** للحديث عن الثروة اللفظية من حيث تعريفها، ومدى حاجة اللغة إلى الإثراء؛ ولذا اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الثروة اللفظية.

المطلب الثاني: اللغة العربية والثراء اللفظي.

وجاء **المبحث الثاني** تحت عنوان: جهود محمد حسن جبل النّظريّة في تنمية الثروة اللفظيّة، واشتمل على أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: استحداث الألفاظ ضرورة لغوية.

المطلب الثاني: حق وضع الألفاظ الجديدة للمعاني الجديدة.

المطلب الثالث: روافد نمو اللغة عند الدكتور جبل.

المطلب الرابع: دور الاشتقاق في استحداث الألفاظ.

وجاء **المبحث الثالث** تحت عنوان: جهود محمد حسن جبل التّطبيقيّة في تنمية الثروة اللفظيّة، واشتمل على مطلبين، هما:

المطلب الأول: الاستدراك على المعاجم.

المطلب الثاني: استحداث ألفاظ جديدة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات بما اقترحته بشأن جهود المحدثين في تنمية الثروة اللفظية، وجهود الدكتور جبل اللغوية على وجه العموم.

وبعد ذلك جاء فهرسان أحدهما للمصادر والمراجع، والثاني للموضوعات.

أما عن منهجي في هذا البحث فكان منهجًا وصفيًّا، حيث جمعت

جهود الدكتور جبل في الجانبين النظريّ والتطبيقيّ من مؤلّفاته، التي عَرَضَ فيها لهذه القضيّة، وصنَّفْتُهَا وعرضتُهَا عَرْضًا أرجو أنْ يكون أمينًا ودقيقًا.

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يعصمنا من الزلل وأن يهدينا سواء السبيل وأن يتغمَّد والدينا وعلماءنا ومشايخنا برحمته، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وصلّ اللهمّ وسلم وبارك على سيدنا محمد

النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الثروة اللفظية: تعريفها، وحاجة اللغة إلى الإثراء

المطلب الأول:تعريف الثروة اللفظية في اللغة والاصطلاح:

أولا: في اللغة:

يدور الجذر (ث ر و) حول معنى: الكثرة، يقال: إنّه لذُو ثَرْوةٍ من المال وعَدَد من الرِّجال، والثَّرْوَةُ: كَثْرَةُ العَدَدِ (١)، ويُقال: ثَرَا القَوْمُ يَثْرُون: إذا كثُرُوا ونَمَوْا. وأَثْرَى القَوْمُ: إذا كَثُرَتْ أموالهُم، والمالُ الثَّرِيّ: الكثير. وقال الكسائيّ: ثَرِيتُ بفلانٍ فأنا ثَرٍ بِهِ، أي: غنيٌّ عن النّاس به. وثَرَا اللهُ القومَ: كَثَّرهم.(٢)

ثانيًا: في الاصطلاح:

عرفها الدكتور عيد الطيب بأنها: (امتلاك اللغة من الألفاظ ما يكفي في التعبير عما لدى أصحابها من الأفكار والأشياء، بمعنى أنها تعني الكفاية).(٣)

---

(١) العين، للخليل بن أحمد ٨/ ٢٣٢ (ث ر و) تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان. وينظر: لسان العرب، لابن منظور ١/ ٤٧٩ (ث ر ا)، ط، دار المعارف، مصر.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس ١/ ٣٧٤، ٣٧٥ (ث ر و/ي)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٣) الثروة اللفظية وسبل تنميتها، د. عيد محمد الطيب ص١٣ الناشر: مكتبة الرشد، بالرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

والكفاية عنده (لا تعني اكتفاء اللغة بما لديها، بل تعني الكفاية المستمرة في كل عصر وبيئة، فاللغة مجموع الألفاظ والرموز الدالة على المتصورات المعروفة لدى أهلها).(١)

ولعله يقصد بالكفاية المستمرة قُدْرة اللغة على التعبير عمّا تمتلكه الأمّة، وعمّا يَجِدُّ في حياتها باستخدام الوسائل التنموية لإحداث الإثراء والتنمية، ليتحقق لأبناء اللغة الاستغناء، وينأون عن مهانة الاستجداء، وذلك بتحقيق الغنى والوفرة اللفظية المساوية لوفرة ما لديهم من أشياء وأفكار.(٢)

أما الدكتور محمد أحمد حماد فذهب إلى أن الثروة اللفظية لأية لغة هي: مفرداتها وكلماتها التي تستعملها في الدلالة على الموجودات والمجردات، تستغلها في بناء الجمل، وأشباه الجمل للدلالة على المعاني التركيبية المستفادة من هذه الجمل.

وذهب إلى أنّ الأسماء المعْرَبة، والأفعال المتصرفة في اللغة العربية هي التي تَدْخل دخولاً مباشرًا في مجال الثروة اللفظية، أما الحروف، أو الأدوات، والأسماء المبنية من الضمائر، وأسماء الإشارة، وأسماء

(١) السابق نفسه ص١٣.
(٢) ينظر: السابق نفسه ص١٣.

الموصول، والاستفهام، والشرط، وأسماء الأفعال، والأفعال الجامدة، والناقصة، فلا يدخل ذلك كله بصفة مباشرة في مجال الثروة اللفظية.(١)

وإذا كان الدكتور حماد يرى أن الحروف والأدوات ...الخ لا تدخل بصفة مباشرة في مجال الثروة اللفظية، دون أن يذكر سببًا لما ذهب إليه، فلعل الذي دعاه إلى ما ذهب إليه أنّ الحروف والضمائر وما شاكل ذلك من ألفاظ اللغة (لا تستقلّ بذاتها، ولا تدلّ على مفهوم مستقلّ، وإنما هي أدوات تربط بين ألفاظ المعاني،(٢) أو تحددها وتخصص معناها نوعًا من التخصيص).(٣)

وعلى العموم فإنني أرى أن كل لفظ من ألفاظ العربية يدخل ضمن ثروتها اللفظية دخولاً مباشرًا، فالحروف والأدوات، والضمائر، وأسماء الإشارة وسائر ما ذَكَرَ تؤدي دورها المنوط بها في تركيب الجمل وأشباه الجمل، أي: في الربط بين الألفاظ داخل الجمل، وكذلك في الدلالة على المعاني التي تحملها من استفهام، أو شرط، أو غير ذلك، ولا يمكن للغة العربية أن تستغني عنها بحالٍ من الأحوال.

وبنظرة تاريخية يرى محمد المبارك أنّ هذه الأدوات أو ألفاظ الارتباط كانت في الأصل ألفاظ معان، لكنها جُرّدت من معانيها وفُرّغت من محتواها ونقلت من ألفاظ معان إلى أدوات، وقد تكون الصلة بين الأداة

(١) ينظر: الثروة اللفظية في اللغة العربية ، د. محمد أحمد حماد ص١٥، ١٦، ط ١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
(٢) هي الألفاظ التي تدلّ على معنى بذاتها، أي: على مفهوم مستقل.
(٣) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص١٦٨، ط، دار الفكر.

وأصلها واضحة؛ لقرب العهد، أو لبقاء المادة الأصلية ووضوح الصلة في المعنى، كما هو الحال بين حرف الجر: (على) ومادة (ع ل و)، وقد تكون الصلة غامضة؛ لبعد العهد أو تغير معنى الأصل، أو أنه طرأ تغير كبير في لفظ أحدهما، كما هو الشأن في: مِنْ، وإلى، وليس، وليت، وَوَصَفَ علماءُ اللغة في هذا العصر ألفاظَ المعاني بأنها ملأى، وألفاظَ الارتباط بأنها فارغة؛ لأنها فُرّغت من معناها الأصلي، وأصبحت تدلّ على نوع علاقة بين لفظين، أي: بين معنييهما، كالنفي في مثل قولنا: ليس الرجل حاضرًا، أو العُلُوّ في مثل قولنا: المفتاح على الأرض، أو مجرد المضيّ في زمن، في مثل قولنا: كان النهر فَيّاضًا.(١)

وبناء على ما سبق فالثروة اللفظية إذن: عبارة عن الألفاظ التي تمتلكها اللغة للتعبير عن المحسوسات والمعنويات الموجودة بالفعل، وإمكانية الاستفادة من هذه الثروة في التعبير عمَّا يُستجدّ في واقع الحياة بالوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض، مما يجعل اللغةَ قادرةً على مواكبة العصر.

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ص١٦٩.

المطلب الثاني

اللغة العربية والثراء اللفظي

تَسْتمدّ اللغةُ حياتها وبقاءها قويةً مصونةَ الجانبِ من عدة نواحٍ من أهمها: امتلاكُهَا ثروةً لفظيةً ترفدها عند الحاجة، فلا بقاء للغة فقيرة في ألفاظها، تستعير كل ما تحتاج إليه من غيرها، حتى تصير مع مرور الأيام مَسْخًا لا قيمة له، فاللغة لا تستطيع مواكبة العصر إلا إذا كانت غنية بمفرداتها، وتقبل النموّ والتطور والارتقاء.

وإذا نظرنا إلى حال اللغة العربية قديمًا سنجد أنها كانت قوية، بدليل نزول القرآن الكريم بها، فقد وسعتْ كلامَ الله – عز وجل – وكلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبَّرَتْ عن حاجات المجتمع الجديد بعد الإسلام، ولم تقف عاجزة أمام التطور الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربيّ، ولم تقف كذلك عاجزة أمام النقلة الحضارية التي حدثت في العصر العباسي على وجه الخصوص، واستوعبت علوم الفرس واليونان والهنود وغيرهم، وذلك عندما عَمَدَ المسلمون إلى ترجمة ما استطاعوا ترجمته من تراث هذه الأمم، وصارت اللغة العربية – بذلك – (الوعاء الحقيقيّ لكلّ ثقافة أو ديانة أو حضارة عرفها العالم القديم تقريبًا)(١)، وبذلك أصبح العربُ الذين لا عهد لهم من قبل بمصطلحات الحساب والهندسة والطب ومنطق أرسطو وفلسفته يُعَبِّرون بلغتهم العربية عن أدقّ نظريات أقليدس، وحساب الجيب

(١) في فقه اللغة، د. عبد العزيز أحمد علام، د. عبد الله ربيع محمود ص١٤٨، ط ١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الهنديّ، وما وراء المادة لأرسطو، ونظريات الهيئة لبطليموس، وطب جالينوس، وحِكَم بزرجمهر، وسياسة كسرى.(١)

فاللغة العربية لم تَعْجز عن مواجهة الشئون الجديدة، ولم تضق ذرعًا بالتعبير عن أيّة ناحية منها، بل اتسعت للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها، وللحضارة على كثرة مظاهرها.(٢)

وساعد على ذلك كله امتلاك اللغة العربية ثروة لفظية ضخمة، فقد بلغت اللغة العربية (في الغنى والسعة في المفردات الحَدَّ الذي لم تبلغه لغة على وجه الأرض حتى الآن)(٣)، فهي (أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدوالّ على معانٍ متشعبة)(٤)، وبذلك يتبين لنا أنّ اللغة العربية كانت قائمة بحاجات أهلها، وأنه كلما تقدم بهم الزمن وتقدمت بهم الحياة تقدمت معهم لغتهم، حيث فتحت أبوابها لاستقبال الجديد من الألفاظ بعد صهر ما يمكن صهره منها في بوتقتها، وإبقاء ما لا سبيل إلى تغييره، مع الإفادة منه في الإفصاح والتعبير واستخدامه عند الحاجة، ولم تكن هذه التوسعة اللغوية بالمترادفات، بل بالمفردات التي تعطي كُلُّ كلمة منها معنى خاصًّا، أو تشير إلى مُسَمًّى خاصّ.(٥)

---

(١) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين ١/ ٣٠٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.
(٢) ينظر: فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ص١٨٥، ط٣، ١٠٠٤م، نهضة مصر.
(٣) مقدمة الصحاح ومدارس المعجمات العربية، أحمد عبد الغفور عطار ص٢٤.
(٤) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ص٢٩٢، ط١٦، ٢٠٠٤م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
(٥) مقدمة الصحاح ومدارس المعجمات العربية، أحمد عبد الغفور عطار ص١٠.

واللغة العربية من أرقى لغات العالم، فهي تمتاز بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها، وهذه المرونة وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والإبدال والنحت، هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وما فيهما من معانٍ في منتهى السُّمُوّ والرِّفعة، وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية، لا عهد للعرب بها في جاهليتهم.(١)

ولا ينبغي لأحد أنْ يظنّ أنّ اللغة العربية فقدت قدرتها على مواكبة العصر، وأنها عاجزة عن اللحاق بركبه والتعبير عمّا يُستجدّ فيه من أشياء وأفكار، لأنّ اللغة العربية ما زالت تمتلك الميزات التي جعلتها – قديمًا – قادرة على استيعاب ما جَدّ في حياة العرب، ويذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي بعض مميزات اللغة العربية التي جعلتها أعظم اللغات كفاية، وأكثرها مرونة، وأقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول، من هذه الميزات: دقة قواعدها النحوية، وغزارة مفرداتها، وخصب مناهجها في الاشتقاق، وقياسية أوزانها واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة، وسعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل، وشدة حرصها على جمال الأسلوب وبلاغة العبارة، وتوخيها الوصول إلى الغرض من أقرب الطرق وأكثرها ملاءمة لمقتضيات الأحوال.(٢)

وتمتاز اللغة العربية - كذلك - بدقة التعبير، والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة، والأفراد المتفاوتة، والأحوال المختلفة، سواء في ذلك

(١) ينظر: ضحى الإسلام ١/ ٣٠٧، ٣٠٨.
(٢) ينظر: فقه اللغة، د. على عبد الواحد وافي ص١٨٥.

الأمور الحسية والمعنوية، فالنظر عامٌّ، ورَمَقَهُ: نظر إليه بمجامع عينيه. ولَحَظَهُ: نظر إليه من جانب أذنه. ولَمَحَهُ: نظر إليه بعَجَلَة. وحَدَجَهُ: رماه ببصره مع حِدّة. ونظر إليه شَزَرًا: أي نَظَرَ العَدَاوَةِ. واسْتَشَفّ الثوبَ: رفعه لينظر إلى صَفَاقته أو سَخَافته، أو يرى عَوَارًا إنْ كان به. واسْتَكَفّه واسْتَشْرَفَه: نظر إليه واضعًا يده على حاجبه من الشمس. وحَدّق: جمع عينيه لشدة النظر. والتَّصَفُّح: النظر في كتاب أو حساب ليهذِّبه، أو ليكشف صحيحه من سقيمه.(١)

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ص٣١٢. وينظر: فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي ص١٤٦ تحقيق د. ياسين الأيوبي، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، المكتبة العصرية، بيروت.

المبحث الثاني:

جهود محمد حسن جبل النظرية في تنمية الثروة اللفظية

المراد بجهوده في هذا المبحث: دعوته إلى الحفاظ على الثروة اللفظية للغة العربية، والعمل على تنميتها باستحداث ما تمسّ الحاجة إليه من الألفاظ، وهذه وتلك لم ينفرد بهما الدكتور جبل، بل يشاركه فيهما غيره، فاللغويون جميعًا – دون استثناء – يحرصون على ذلك، ويبذلون وُسْعهم وطاقتهم لتحقيق هذين الغرضين، ليتحقق للغة العربية مواكبة العصر وما يُسْتجدّ فيه، كما كانت قبل ذلك غنيّةً بمفرداتها، وافيةً بحاجات أهلها.

إذن فليس من غرض هذا المبحث الزعم بانفراد الدكتور جبل بالاهتمام بتحقيق هذين الغرضين، لكن يمكن القول بأنه مجرد نموذج لجهود المحدثين في هذا المجال.

وبناء على ذلك فمهمة هذا المبحث تتمثل في جمع أقوال الدكتور جبل، التي لها علاقة بالحفاظ على الثروة اللفظية وتنميتها، وتصنيف هذه الأقوال في مطالب بما يتفق مع مضمون كل عبارة منها.

المطلب الأول

استحداث الألفاظ ضرورة لغوية

استحداث الألفاظ ليس ترفًا، بل هو ضرورة لبقاء اللغة حَيَّة معطاء، وضرورة تدعو إليها الحاجة الملحة للبعد عن التبعية الفكرية والذوبان في شخصية الآخر، كما يفرضه اللحاق بركب العصر الذي نعيشه، وهو إثباتٌ لمقدرة اللغة العربية على مواكبة العصر، وشهادةٌ على عدم عجزها عن الوفاء بحاجات أهلها؛ لذا لا عَجَبَ أن نجد الغيورين من علماء العربية حريصين على تنمية الثروة اللفظية، من خلال وسائلها المعروفة، كالاشتقاق والنحت والتوليد وغيرها.

ويذهب محمد المبارك إلى أنّ وضع الألفاظ العربية للمسميات الجديدة في العصر الحديث كان علامة من علامات الوعي اللغوي، بعد مرحلة الضعف التي مرتْ بها اللغة العربية في عصور الانحطاط، حيث التقت بالحضارة الأوروبية، ونَتَجَ عن ذلك ظهور كثير من الأشياء المستحدثة والأفكار الجديدة في العالم العربي، وأصبح العرب في أمسّ الحاجة إلى التعبير عنها، ووضع أسماء تميزها منْ غيرها، فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية -كما خلفتها عصور الانحطاط - عن القيام بعبء التعبير عن معاني هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية، وكان ينوء بجمهرة المتكلمين باللغة العربية حمل هذا العبء والاضطلاع به، وكانت

الخاصة منهم تحاول ذلك باذلةً جهدها للقيام بهذه المهمة، وقعد العجز ببعضهم عن ذلك، فجنحوا إلى العامية تارة، وإلى اللغات الأجنبية تارة أخرى، ليستعينوا بهذه ويستعيروا من تلك ما يُعَبّرون به عن مقاصد الحياة الجديدة، وظاهرت على ذلك أسباب خارجة عن اللغة من سياسية وغير سياسية، لكن هذه الصيحات الداعية إلى العامية والإكثار من الألفاظ الأجنبية دون قيد أو شرط قوبلت بالدعوة إلى الفصحى، واستخراج مخبوئها، والعودة إلى المنسيّ من قديمها، وإحياء المندثر من ألفاظها، واللجوء إلى الاشتقاق منها، وكان من نتيجة الصراع بين النزعة المحافظة والنزعة التي تميل إلى التساهل في شأن العامية والدخيل سيادةُ نزعة أخذت من الفريق الأول ضرورة الحفاظ على الأصالة في لغتنا، ومن الثاني ضرورة الاستجابة لمطالب الحياة، فأدى ذلك إلى إعادة الحيوية إلى كيان اللغة عن طريق الاشتقاق والتوليد تبعًا لسنن العربية نفسها، كما كانت تلك الدعوة طريقًا صحيحًا للحفاظ على الذات، وتكوين المناعة دون الذوبان في الذات الغربية، والخضوع المطلق لنفوذها اللغوي والفكري.(١)

ويُبَيّن الأستاذ المبارك وَجْه الحاجة إلى وضع أسماء جديدة لما يُسْتحدث من الأشياء والأفكار فيقول: (إن تسمية الأشياء ووضع الألفاظ للدلالة على مدلولاتها عَمَلٌ مستمرٌّ في جميع اللغات الحية؛ فإنّ الإنسان لا يزال يكتشف ويصنع أشياء جديدة ولا يفتأ يطّلع على معانٍ مبتكرة أو فكر

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص٢٣٣: ٢٣٧.

طريفة أو يصوغ مفاهيم حديثة، وهو في كل هذه المجالات محتاج إلى ألفاظ جديدة تدل على هذه الأشياء والمعاني الجديدة).([1])

وقد كان للدكتور جبل جهدٌ بارزٌ في الدعوة إلى تنمية الثروة اللفظية، ووضع أسماء لما يُسْتجدّ في واقع الحياة، فيرى أنّ (اللغة ترجمان الفكر، والفكر لا يتوقف ولا يجمد، ومستحدثات الحياة التي تتطلب ما يُعبر عنها تتدفق حتى لتكاد تسابق الأنفاس).([2])

واستحداث الألفاظ للتعبير عمَّا يُسْتجدّ من الأفكار والمعاني – في رأيه - هو أهم ما يُعين اللغة على أداء وظيفتها، وذلك لأنّ (سيل المعاني والفِكَر الجديدة لا يكاد يتوقف، سواء ما كان من تلك المعاني مصنوعات ومبتكرات تحتاج إلى ألفاظ تُسَمّيها، وما كان فِكَرًا وخواطر وتكييفات تولدها العقول، وتتوق إلى تصيدها وتقييدها في قوالب أو صياغات لفظية تُعبر عنها، وتُمكّن من نقلها والتعامل بها، وبهذا الاستحداث للألفاظ تتمكن اللغة التي تتوافر لها إمكانية الاستحداث بيسر أن تجاري الحياة المتطورة المتغيرة، ومن ثَمَّ تستطيع أن تبقى، وبقاءُ اللغة من أهم مقومات بقاء أهلها متميزين بمقوماتهم؛ لأنّ اللغة تُعَبّر عن فِكْرهم وحضارتهم وخصائصهم).([3])

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ص١٩١.
(٢) علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا، ص٣٣.
(٣) علم الاشتقاق، د. جبل ص٢٦٩، ٢٧٠. وله كلام قريب من هذا في: الاستدراك على المعاجم العربية، ص٦.

ويذهب إلى أنّ حضور الصورة الذهنية ووضوحها له أهمية كبيرة في استحداث الألفاظ، فهو (يساعد – بل يكاد يكون هو السند الأساسيّ على استحداث مفردات من نفس الجذر المعَبِّر عن الصورة، لتعبّر هذه المستحدثات عن معان (=صور) مشتقة من الصور التي وُضعت لها المفردات القديمة للجذر، وبهذا يكون ما استُحدث من مفردات لغوية مناسبًا لأصوله التي اشْتُقّ منها في المعنى واللفظ، لا يكون غريبًا عنها، وهذه صورة أخرى من صور بقاء اللغة واستمرارها، حيث تكون المفردات المستحدثة هي من جنس المفردات القديمة أو السابقة، ومُتَوَلَّدَة منها تَوَلُّدًا مشروعًا، فَتُحْييها وتُبْقيها).(١)

ومناسبة ما يُسْتحدث من المفردات لأصوله التي اشتقّ منها يتفق - رغم ضرورته - مع إحدى السمات التي تميز اللغة العربية، إذْ هي (أبرز اللغات من جهة احتفاظ ألفاظها بالصلة بأصولها الاشتقاقية، فظهور الصلة في اللغة العربية بين معاني الكلمات ومعاني أصولها التي اشتقت منها هو القاعدة الغالبة، وليس الأمر كذلك في غيرها من اللغات الحية).(٢)

(١) المعنى اللغوي، د. جبل، ص١١٥. القاهرة. والصورة الأولى من صور بقاء اللغة تتمثل في أنّ أكثر المسميات بالألفاظ: إما ثابت الصورة التي كان عليها منذ أقدم ما عُرف من لغتنا العربية، ومن الأمثلة على ذلك ألفاظ: السماء، والنجوم، والشمس، والقمر، والأرض، والجبال...الخ. وإما أنّ تَغَيُّره مُنْصَبٌّ على الشكل أو الهيئة العامة دون الغرض منه أو الوظيفة التي يؤديها، ومن الأمثلة على ذلك: البيوت وفُرُشها: الأسرّة، والوسائد، والكراسيّ ووسائل الطهي، وإعداد الثياب ...الخ. ينظر: المعنى اللغوي ص١١٤، ١١٥، وتنظر: ص١٩٠، ١٩١.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية، ص١٧١.

المطلب الثاني

حق وضع الألفاظ الجديدة للمعاني الجديدة

يرى الدكتور جبل أنّ وَضْعَ الألفاظ الجديدة للمعاني الجديدة حَقٌّ للعرب السليقيين، ومتاحٌ للذين يأخذون اللغة دراسة وصناعة إذا تمكنوا فيها تمكُّن السليقيين، وقد أيَّد حَقَّ الوَضْع لهؤلاء كلٌّ من: الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، والزجاجي (ت٣٤٠هـ)، وابن جني (ت٣٩٢هـ)، والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، واستشهد ابن جني بما يخترعه الصناع وغيرهم لآلاتهم من أسماء.([1])

ويذهب إلى أن وضع الألفاظ الجديدة في العصر الحديث له أسلوبان:

الأول: أن الذين يخترعون ويبتكرون أشياء مادية أو غير مادية هم الذين يقومون بوضع أسمائها حسب قصدهم منها، وظيفتها، أو منافعها، أو خصائصها، وعنهم يأخذها المقلِّدون لهم.

([1]) ينظر: المعنى اللغوي، د. جبل ص١٣٠: ١٣٣، علم الاشتقاق ص١٤١.

الثـــاني: مجـامع اللغـة أو الهيئـات اللغويـة المشـابهة، حيـث يقـوم أعضاؤها بدراسة الشيء المراد وضع اسم لـه، وإصدار قرار بهذا الشأن يتضمن الاسم المعَبِّر عن وظيفته أو منفعته أو هيئته أو غير ذلك.([1])

ويمكن أن نضيف أسلوبًا ثالثًا يتمثل في: أولئك العلماء الراسخين في فقـه اللغـة، كمـا فعـل الأميـر شـكيب أرسـلان، والشـيخ إبـراهيم اليـازجي، ويعقوب صروف، والأمير مصطفى الشهابي، وأحمد فارس الشدياق([2])، والدكتور جبل وغيرهم، وقد أشار الدكتور جبل إلى هذا الأسلوب في قولـه: (إن مجامعنـا اللغويـة المـوقرة، والغُيُـرَ مـن اللغـويين والعلمـاء والأدبـاء، يجهدون – كل بطريقتـه – في دعم الثروة اللغويـة العربيـة: إمـا باسـتثارة كنوزها المطمورة، وإما باستحداث ما يعبر عن محدثات العصر).([3])

وعنـدما تحـدث عـن التشـريع اللغـوي، أي: الأصـول والضـوابط فـي مجـالات الأصـوات والمفـردات والصـياغة والتركيـب والدلالـة وعلاقتهـا بكـل ذلك، ذهب إلى أنّ حدوده ومعالمـه ينبغي أنْ تُسْتنبط من كـلام أهل الفطـرة والسليقة، ولكن لمن بعدهم الحق في ابتكـار مـا تتطلبـه الحيـاة والفكـر مـن صيغ وعبـارات ودلالات مـادام كـل ذلـك لا ينـافي تلـك الأصـول، والأفضـل أن

([1]) ينظر: المعنى اللغوي، ص١٣٠.
([2]) أشار الدكتور محمد أحمد حماد إلى بعض جهود هؤلاء في كتابه: الثروة اللفظية في اللغة العربية، ص١٤٣: ١٦٨.
([3]) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٩

تؤخذ تلك المبتكرات من كلام أقرب الناس شَبَهًا بأهل الفطرة في الحسّ اللغوي، وهم الأدباء (شعراء وناثرون)، والعلماء والمؤلفون.([1])

كما أشار إليه كذلك عندما تحدث عن (حَقّ الوضْع لِمَنْ هو أهلٌ له ممن بلغ في العلم باللغة مبلغ العرب الخُلَّص).([2])

ولعل الشدياق كان يرى هذا الرأي، حيث قال: (ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر، وسكك الحديد، وأسلاك التلغراف، والغاز، والبوسطة، ونحو ذلك مما اخترعه الإفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة، فهم على هذا غير ملومين، وإنما اللوم علينا نحن حالة كوننا قد ورثنا لغتهم، وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا، ولم نتنبه لوضع أسماء لها على النسق الذي أَلِفته العرب وهو: الاختصار والإيجاز).([3])

([1]) ينظر: الاستدراك على المعاجم العربية، ص٣٨.
([2]) المعنى اللغوي، ص١٣٢.
([3]) كنز الرغائب ١/ ٢٠٥.

المطلب الثالث

روافد نمو اللغة عند الدكتور جبل

يرى الدكتور جبل أنّ منشأ مفردات اللغة العربية المذكورة في معاجمها تتوزع على ثمانية روافد، مع تفاوت في إسهاماتها، وكان حريصًا على إبداء رأيه في كل رافد من هذه الروافد الثمانية، من جهة أثره في نمو الثروة اللفظية للغة العربية، وهذ الروافد هي:

١- الاشتقاق الدلاليّ الجزئيّ، وهو الرافد الأكبر لاستحداث ألفاظ جديدة.

٢- الاشتقاق اللفظي، وهو لا يضيف إلا معنى الصيغة كِساءً للمعنى المعجميّ.

٣- الارتجال، أي: خلق مفردات بِكْر، ويكون بإنشائها من غير جذر سابق، وهو رافد عزيز جدًّا، لا يأتي إلا بالقليل، وعصرنا الحاضر في حاجة إلى دراسة هذا الرافد دراسة جدية للاستمداد منه في وضع المفردات الجديدة.

٤- الوضع بالمجاز، ويكون ذلك بنقل دلالة بعض المفردات إلى دلالة جديدة مناسبة لها، بناء على تشابه الدلالتين، أو على علاقة مجاز مرسل.

٥- الوضع بتوسيع الخاصّ أو تخصيص العامّ، وهذان الرافدان ينافسان الاشتقاق الجزئيّ الآن، لكن الاشتقاق الجزئيّ أكثر إضافة إلى اللغة، لأنه يأتي بألفاظ مستحدثة حقيقة لفظًا ومعنى.

٦- النحت، وهو سبيل وَعْرٌ؛ لأنه يضطرنا إلى صوغ صيغ غريبة وكلمات غريبة وثقيلة أيضًا.

٧- التعريب وما إليه، وهو شائع جدًّا على ألسنة أهل العربية الآن، ولكنه خطير الأثر على اللغة؛ لأن الإكثار من المعربات يمسخ عروبة العربية ويؤثر في خصائصها.

٨- الإبدال والقلب، وهما لا يأتيان بجديد حقيقيّ، وإنما يأتيان بنطق جديد للمفردات العربية القديمة بمعانيها، لكن لا بأس من الاستفادة منهما، مع وضع ضوابط تمنع اللبس.

وإذا حللنا مفردات معاجمنا القديمة فسنجد أنّ مأتى مفرداتها هو تلك الروافد مع تفاوت في إسهاماتها، وأقلها إسهامًا هو الارتجال والنحت، وأكثرها إسهامًا هو الاشتقاق الدلاليّ الجزئيّ.(١)

وبناء على ما سبق فإنه يمكن القول بأن الاشتقاق بنوعيه (اللفظي والدلالي) هو أكثر الروافد إسهامًا في تنمية الثروة اللفظية للغة العربية، وقد بَيَّن الدكتور جبل أهميته في استحداث الألفاظ في أكثر من موطن؛ لذا نقف معه وقفة لنوضح فيها جهد الدكتور جبل في الكشف عن دور الاشتقاق في التنمية اللغوية.

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣٤، ١٣٥

المطلب الرابع

دور الاشتقاق في استحداث الألفاظ

قال محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ): (ولم يزل وَلَدُ إسماعيل على مَرّ الأزمان يشتقون الكلامَ بعضَه من بعضٍ، ويضعون للأشياء أسماءَ كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظُهُورها).(١)

يوضح لنا النصُّ السابقُ أهمية الاشتقاق في تنمية الثروة اللفظية، ووضْع أسماء جديدة لما يُستحدث من الأشياء والأفكار، وأنه (أي: الاشتقاق) الوسيلة الأكثر (ولعله كذلك الأقدم) استخدامًا في هذا الشأن، وذهب إلي ذلك – أيضًا - محمد المبارك حيث يرى أنّ وَضْعَ الألفاظ الجديدة عن طريق الاشتقاق هو السنة المتبعة والقاعدة الغالبة التي يتبعها العرب في لغتهم، أما طريق النحت فطريق قلما يسلكونه، ونهج قلما يتبعونه، وإن جرى به لسانهم، وأما التعريب فقليل كذلك بل في غاية القلة إذا قيس بالألفاظ المولدة من أصول عربية عن طريق الاشتقاق.(٢)

وإلى المذهب نفسه يذهب الدكتور جبل، حيث يرى (أنّ الاشتقاق هو أهم وسيلة لاستحداث الألفاظ لما يُسْتحدث من المعاني).(٣) ودراسته تقودنا

---

(١) الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم ١/ ١٢، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
(٢) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ص٢٨٨.
(٣) علم الاشتقاق، د. جبل ص٢٦٩.

إلى القول (بأنّ الجمهور الأعظم من مفردات لغتنا العربية هو من المشتقات اللفظية، أو الدلالية).(١)

وفي هذا المطلب نعرض آراء الدكتور جبل في دور الاشتقاق الجزئيّ، وتعليل التسمية، والاشتقاق المحوريّ أو التأصيليّ في استحداث الألفاظ:

أولا: الاشتقاق الجزئيّ ودوره في استحداث الألفاظ:

يرى الدكتور جبل أنّ الربط الاشتقاقيّ ينصبّ في الاشتقاق الجزئيّ على كلمتين، إحداهما المأخذ، والأخرى هي الكلمة المشتقة، سواء استحدثناها أخذًا، أو وجدناها ربطًا، وفيه يَقْتصر النظر على المأخذ والمشتقّ دون النظر إلى شقائق المأخذ؛ وذلك لوضوح مَلْمَحٍ في المأخذ عند اللغويّ، فيصوّب اللغويُّ إليه النظر، ليأخذ منه معنى جديدًا مناسبًا له؛ لأن هذا المعنى هو الذي يُراد استحداثُ لفظ له، أو يُرادُ بيانُ ارتباطه بلفظ آخر.(٢)

ويرى أنّ الاشتقاق الدلاليّ الجزئيّ هو أهم أنواع الاشتقاق، وأنه الرافد الأكبر لاستحداث ألفاظ جديدة؛ لأنه يأتي بألفاظ مستحدثة حقيقة لفظًا ومعنًى.(٣)

---

(١) علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن جبل ص٩٥.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٥.
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص، ١٣٤، ١٣٥.

ثانيًا: تعليل التسمية وصلته باستحداث الألفاظ:

يرى الدكتور جبل أنّ تعليل التسمية هو الصورة الأصيلة من صورتي الاشتقاق الدلالي الجزئيّ.(١)

ومعناه عنده: (أنْ يكون في الشيء المسمَّى ملحظٌ أو صفةٌ ما، يكون الاسمُ مُعَبِّرًا عنها؛ فيكون ذلك الملحظُ أو الصّفةُ هو علّة التسمية).(٢)

أما عن أهميته في استحداث الألفاظ فيقول: (تسمية الشيء بوظيفته أو عمله هو أوسع سبل التسمية، وأوضحها أمام الناس، وهذا سِرّ اعتماده في المستحدثات، كالغسّالة، والثّلاجة، والسّخّان، والمِفْرمة، والمِقْشرة، والمِذْياع، والمِفَكّ ..الخ)(٣)، أي أن هذه الأشياء (وما شابهها) رُوعي في تسميتها وظيفتُهَا وعملُهَا، فكان ذلك هو ملحظ التسمية.

ثالثا: الاشتقاق المحوريّ أو التأصيليّ ودوره في استحداث الألفاظ:

عرفه الدكتور جبل بأنه: (تتبع استعمالات الجذر، واستخلاص معنى منها، ترجع كلها إليه، إما مباشرة، أو بتأويل علميّ مقبول).(٤)

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ٦٧، ٦٨. والصورة الثانية هي: الاشتقاق التطوري، كما في كلمة (مَذْهب) بمعنى: وِجْهة ذات أسس وضوابط معيّنة ومطّردة، في الفكر أو في استخراج الأحكام الفقهية من مصادرها بالنسبة للمذهب الفقهي، وذلك أخذًا من كلمة: مَذْهب، اسم مكان أو مصدر ميميّ من الذهاب بمعنى: المفارقة والسير من مكان لآخر. وهذه الصورة سماها الإمام الزجاجي بالاشتقاق، ويرى الدكتور جبل أنها تطور دلاليّ وليست اشتقاقًا. ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٨، ١٦٦.

(٢) تعليل الأسماء، ص٤، وينظر: علم الاشتقاق، ص٦٨.

(٣) تعليل الأسماء، ص٢٩.

(٤) علم الاشتقاق، ص١٩١.

وبعدما شرح التعريف ومثّل لهذا النوع من الاشتقاق، ذكر علتين لخلوّ التعريف من النص على استحداث الألفاظ، وهما:

الأولى: تتمثل في أن ممارسة الربط الاشتقاقي، مع ما يحتاجه من بيان وجه ارتباط استعمالات الجذر بالمعنى المحوري، وما ينتج عن ذلك من خبرة بملاحظ الاشتقاق، والتقاط المعاني، ومعرفة متجددة بأسس الربط الاشتقاقي، ذلك كله يقدم أعظم وسيلة للتدريب على استحداث الألفاظ المعبرة عن معان جديدة ترتبط بمعنى كلمة قائمة، أو بمعاني استعمالات جذر قائم، وبناء على ذلك فالاشتقاق التأصيلي ليس هو عملية استحداث ألفاظ، ولكنه يربي ملكة استحداث الألفاظ.(١)

لكن مما تجدر الإشارة إليه أنّ (الممارسة العملية الواقعية لمحاولة تحديد ذلك المعنى المحوري الذي ترجع إليه كل ألفاظ التركيب واستعمالاته لتثبت بيقين لا شكّ فيه أنّ هذا التحديد أمرٌ يحتاج إلى فضل فكر، وإلى مثابرة على كدّ الذّهْن لاستخراج المعنى المحوري المشترك وردّ كل ألفاظ الجذر واستعمالاته إليه. كما أنّ القدرة على الاستخراج تتطلب خبرة طويلة عميقة بألفاظ اللغة واكتناه أسرار معانيها، وسنن العرب في التعبير عن المعاني ثم بلمح العلاقات بين معاني الألفاظ).(٢)

الثانيــة: للاشتقاق التأصيليّ ثمرات أكثر من عملية استحداث الألفاظ، مما يجعل النصّ على استحداث الألفاظ في التعريف قصرًا له على

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٩٦.
(٢) تعليل الأسماء، د. جبل، ص٣٩، وينظر: علم الاشتقاق، د. جبل، ص٢٠٧.

بعض ثمراته، كما أنّ ذكر الاستحداث يُدخل في الاشتقاق التأصيلي ما ليس من صميم حقيقته، فيختلّ التعريف.(١)

وعلى العموم فاستحداث الألفاظ ثمرة من ثمار الاشتقاق التأصيليّ، وفائدة من فوائده، حيث إنّ (التأصيل الدقيق يُمَكِّن من اختيار أدقّ الألفاظ المراد استحداثها اشتقاقًا، وأنسبها للمعنى المراد وَضْع لفظ له).(٢)

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص ١٩٧.
(٢) علم الاشتقاق، ص٢٨٣.

المبحث الثالث:

جهود محمد حسن جبل التطبيقيّة في تنمية الثروة اللفظيّة

وفي هذا المبحث نتحدث عن جهود الدكتور جبل في جانبين: أحدهما: يتناول موضوع الاستدراك على المعاجم، والثاني: عن استحداث ألفاظ جديدة لمسميات جديدة.

المطلب الأول: الاستدراك على المعاجم:

يقول الإمام الشافعي (ت٢٠٤ هـ): (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غَيْرُ نبيّ، ولكنّه لا يَذْهب منه شيءٌ على عامَّتها، حتى لا يكونَ موجودًا فيها مَنْ يَعْرفه).(١)

من هذه المقولة يتبين لنا أنّ الاستدراك على المعاجم اللغوية أمر بدهيّ أو كالبدهيّ، ولا غضاضة فيه، إذ لا طاقة لفرد مهما أوتي من المقدرة على جمع الألفاظ اللغوية وحفظها أن يستوعبها جميعًا دون أن يندّ منه شيء منها، إلا إذا كان نبيًّا، كما قال الشافعيّ رضي الله عنه، ولا شكّ أنّ الاستدراك حفاظ على الثروة اللفظية من الضياع والاندثار.

وقد كان للدكتور جبل جهد مشكور في هذا المجال، إذ ألَّف فيه كتابه: (الاستدراك على المعاجم العربية) وأراد (أنْ يكون دعوةً إلى إعادة النظر

(١) الرسالة، الإمام الشافعي ص٤٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

في عملية جمع الألفاظ والعبارات في لغتنا العربية، بغية استدراك ما فات المعاجم تدوينه منها، سواء في ذلك الألفاظ والعبارات الأصيلة التي أفلتت من جماع اللغة بالرغم من أصالتها أي كونها من عصر الاحتجاج اللغوي، والألفاظ والعبارات التي أغفلوها – وما تزال تغفل بالرغم من فصاحتها – لكونها مولَّدة، أي ناشئة بعد عصر الاحتجاج اللغوي).(١)

وإذا كانت المجامعُ اللغويةُ والغُيُرُ من اللغويين والعلماء والأدباء، يجهدون – كل بطريقته – في دعم الثروة اللغوية العربية، فإنه يرجو أن يكون كتابه هذا إضافة تأصيلية وتطبيقية إلى هذه الجهود.(٢)

ويرى أنّ الطريق للاستدراك (يكون بمراجعة دواوين النتاج اللغوي الرفيعة المستوى في الشعر والنثر وسائر المؤلفات التي أخرجت للناس بعد نطق الاحتجاج لالتقاط ما فيها من الجديد سواء في المفردات أو الصيغ أو العبارات أو الدلالات وتدوينه في معاجمنا معزوًّا إلى أصحابه).(٣)

معايير الاحتجاج:

كان من الضروري أن يناقش الدكتور جبل معايير الفصاحة أو السلامة اللغوية التي وضعها العلماء لقبول ما يمكن قبوله من الألفاظ والأساليب، أي في اللغة والنحو، أو رفض ما يُرْفض منها، وذلك للتأكيد على سلامة ما استدركه في كتابه.

(١) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٦.
(٢) ينظر: الاستدراك على المعاجم العربية، ص٩.
(٣) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٣٨.

فمن المعلوم أنّ كلام العرب يُحتجّ منه بما ثبت عن العرب قبل بعثة النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وفي زمنه، وبعدَه، (أي: العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم) إلى أن فسدت الألسنةُ بكثرة المولَّدين، سواء أكان نظمًا أم نثرًا، عن مسلمٍ أو كافرٍ، والاعتماد - في ذلك – على ما رواه الثقات عن العرب بالأسانيد المعتبرة، من نثرهم ونظمهم.(١)

ورغم اعتماد علماء العربية كلامَ العربِ حُجَّةً في اللغة والنحو، فإنهم لم يعتمدوا كل ما قالته العرب على اختلاف قبائلها، وامتداد عصورها، بل وضعوا مقياسًا لما يأخذون وَيَدَعُون، تمثَّل فيما يعرف بـ (الفصاحة)، وربطوا هذا المقياس بالبداوة؛(٢) لذا وضعوا حدودًا مكانية وأخرى زمانية للاحتجاج بكلام العرب.

أما من ناحية المكان فكان لعلماء اللغة منهج واضح في جمعها، حيث سلكوا مَسْلَكًا خاصًا لتحقيق هذا الهدف، وَرَأَوْا أنَّ سلامةَ اللغة، والحفاظَ عليها يتمثل في اتباعه، فأخذوا اللغة عن قبائل معينة، وتركوا ما سواها، وقد ذكر الفارابي أسماءَ كثير من هذه القبائل التي أُخذت عنها اللغة، والتي لم تُؤخذ عنها، وعِلَّةَ عدم الأخذ.(٣)

(١) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي ص٧٤، ١٠٠، ١٠٦، تحقيق/ د. محمود سليمان ياقوت، ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
(٢) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة، د. جبل ص٨١ وما بعدها، القياس في اللغة العربية، د. محمد حسن عبد العزيز ص١٠١.
(٣) ينظر: الحروف، لأبي نصر الفارابي ص١٤٦، ١٤٧، تحقيق/ محسن مهدي، ط٢، ١٩٩٠م، دار المشرق، بيروت. المزهر، للسيوطي ٢١١/١، ٢١٢، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث، القاهرة. وينظر: الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي ص١٠٠ وما بعدها، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، لابن الأكفاني ص١٠٩، ١١٠، تحقيق عبد المنعم محمد عمر ، ط، دار الفكر العربي، القاهرة. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي ١٨/١ وما بعدها، تحقيق/ د. علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

أما من ناحية الزمان، فإنهم لم يأخذوا اللغة عن فصحاء العرب إلا في إطار زمني معين فقسَّمُوا الشعراءَ إلى أربع طبقات هي:

الطبقة الأولى: الجاهليون، وهم الذين لم يدركوا الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم: الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة: المولَّدون، ويقال لهم: المحْدَثُون، وهم الذين جاءوا بعد الإسلاميين، كبشار بن بُرد، وأبي نُواس.

وقد أجمع العلماء على الاستشهاد بكلام الطبقتين الأوليين (الجاهليين، والمخضرمين)، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، وأما الرابعة فلا يُستشهد بكلامها مطلقًا، وقيل: يُستشهد بكلام مَنْ يُوثق به منهم.(١)

(١) ينظر: ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي ١/٥، ٦، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م – الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة. وينظر: الاقتراح، للسيوطي ص١٤٤ وما بعدها، حيث تحدث السيوطي هناك عن حكم الاحتجاج بكلام المولدين، وتعيين أول الشعراء المحدثين.

وعلى ذلك فالإطار الزمني يمتد إلى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة لأهل الحضر، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري بالنسبة لأهل البادية وهذه الفترة الزمنية سُمّيت عند علماء اللغة بـ (عصور الاحتجاج).[١]

ولعلّ من المفيد أن نذكر – هنا – رأي ابن جني (ت٣٩٢هـ) في بيان علة ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر، حيث قال: (علة امتناع ذلك ما عَرَضَ للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخَطَل، ولو عُلِمَ أنَّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضًا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تَلَقِّي ما يَرِدُ عنها، وعلى ذلك العملُ في وقتنا هذا؛ لأنَّا لا نكاد نرى بدويًّا فصيحًا، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه، وينال ويغض منه).[٢]

وإذا كان القدماء قد وضعوا نطاقًا مكانيًّا وآخر زمنيًّا، لما يوثق بالاحتجاج به من كلام العرب، فإنّه يمكن القول بأنَّ هذه النُّطُقَ كانت لها فوائد، كما شابتها بعض الشوائب.

(١) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، د. محمد حسن جبل ص٨٣.
(٢) الخصائص، لابن جني ٥/١.

ومن فوائدها: أنها ميَّزت نتاج الذروة السليقية فلم يتميّع في غيره، وأصبح هو الصورة الصحيحة للغة، وموضع القدوة ومناط التنافس، فساعد ذلك على ترسيخ السليقية، واستمرار أثرها في اللغة والأدب حينًا من الدهر.(١)

أما عن الشوائب التي شابتها فمن ذلك:

أولا: ما اتسمت به تلك النُّطُق من تعميم شمل الجوانب القَبَلِيَّةَ والمكانيةَ والزمنيةَ، والمنهجُ العلميُّ لا يعتمد التعميم إلا إذا قام على استقراء تام أو شبه تام، ولم يحدث ذلك الاستقراء، ولأنها تعني الحكم المسبق بعدم الفصاحة على جميع الخارجين عن تلك النطق، وفي هذا تجاهل لمبدأ التفاوت الفردي في الفصاحة، إذ لا يُسْتبعد أن يبلغ بعض من أدباء الأمة مستوى من الفصاحة يُضارع القدماء، كما أن هذا التعميم يسوي - في منع الاحتجاج بما جاوز النطق المذكورة – بين مستويات النشاط اللغوي: الأصوات، والألفاظ (المتن)، والصيغ، والتركيب، والدلالة، بينما تنبه العلماء إلى ثبات (الأوضاع اللغوية) أي دلالة الألفاظ على معانيها، واختلال النحو، أي ذهاب الحركات الإعرابية من كلام العامة، ومعنى هذا أنه يمكن الاحتجاج بمدلولات الألفاظ، على ما استعملها عليه الذين تجاوزوا نطق الاحتجاج، كما أن اللغة (المتن ودلالته) دائمة النموّ، وهذا النموّ حتميّ الوقوع؛ لأنه صدى لتجدد الحياة، والأجدر بنا أن نتخذ من ذلك النموّ موقف الاختيار والتقويم: من حيث سلامة الاشتقاق، ودقة

(١) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة ص٩٩

دلالة الصيغة بالنسبة للنموّ في المتن، ومن حيث قوة العلاقة المولدة ومنطقيتها بالنسبة للمعاني المولَّدة، وذلك بدلاً من الرفض الشامل، الذي لا يناسب طبيعة اللغة، أما النحو فقواعد اسْتُنْبِطَتْ من نتاج عصر الاحتجاج، وهي محدودة الحجم، ولا يزاد عليها إلا ما لا بال له، كما أنها محدودة التطور؛ لأنها قياسية صورية، يمكن دائمًا تطبيقها على أي نتاج دون حاجة إلى زيادة في القواعد، أو تطوير يغير جوهرها.

ثانيًا: تتمثل الشائبة الثانية في التشدد ، ويبدو هذا التشدد في سمتين:

١- محاولات التبكير في تحديد طبقة المولَّدين، ويتمثل هذا في موقف أبي عمرو بن العلاء من شعر جرير والفرزدق، وما حكاه الأصمعي من أنه جلس إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج فما سمعه يحتج ببيت إسلامي، كما يتمثل ذلك في رفض الأصمعي الاحتجاج لقولهم: أبرق الرجلُ وأرعد، أي: تهدد وأوعد، رغم ورود هذين اللفظين في شعر لذي الرمة، والكميت.

٢- وجوب التقيد بالعبارات التي كانوا يستعملونها داخل النطق في مقامات معينة، كما يبدو من موقف أبي عمرو عندما قال له رجل: " أكرمك الله "، فقال له أبو عمرو: " محدثة "، أي أنّ هذا الدعاء لم يكن مستعملاً بنصه هذا في العصر الأول، في مثل المقام الذي وُجِّه إليه فيه، وقريب من هذا حُكْمُ الأصمعيّ على قولهم: " جُعلت فداك، وجعلني اللهُ فداك "

بأنه : " محدث "، مع أنّ الأمر – هنا – لا يعدو كونه تصرفًا في الأسلوب، فقد كان من الشائع قديمًا قولهم: " فداك أبي، أو فداك أبي وأمي، أو فدتك نفسي ".(١)

أثر الالتزام بمعايير الاحتجاج في نمو الثروة اللفظية:

كان لالتزام جمهور اللغويين والنحاة بهذه المعايير – رغم ما شابها من تعميم غير علمي، سواء في تحديد القبائل التي يحتج بكلامها أو لا يحتج، أو في تحديد المناطق، أو العصر، أو مستوى النتاج، كما شابها تشدد مسرف - أثرٌ كبيرٌ على اللغة، حيث أغفلوا الكثير الطيب مما في نتاج عشرات – أو مئات – من أقدر أدباء العربية (شعراء وناثرين وعلماء ومؤلفين) من ألفاظ وصيغ وعبارات واستعمالات ودلالات أجَدُّوها، فلم تأخذ مكانها في المعاجم؛ لأن كل ما لم تنطبق عليه هذه المعايير عُدَّ مولَّدًا، أي غير صحيح العروبة ولا يحتج به في العربية، ولا ينبغي أن يستعمل على ألسنة الفصحاء، أو في مؤلفاتهم، كما لا ينبغي أن يُعَدّ ضمن ثروة المفردات العربية المعترف بها، فهو عندهم موجود كالمعدوم، مهما بلغت درجة موافقته لقوانين العربية، أو وثاقة صلة معناه بدلالة تركيبه.(٢)

ويؤكد في موطن آخر أنّ إيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التي حددوها، يعني الحكم بإيقاف نموّ اللغة – في متنها ودلالتها – عند الحدّ الذي وصلت إليه في تلك الحقبة، وذلك شيء يضاد طبيعة اللغة، التي

(١) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة ص٩٩ وما بعدها.
(٢) ينظر: الاستدراك على المعاجم العربية، ص٢٤.

تجاري تجدد الحياة مجاراة حتمية؛ لذا وقعت من الأئمة اللغويين في احتجاجاتهم اللغوية تجاوزات متنوعة لنطق الاحتجاج، حيث وقعت احتجاجات لغوية – في معجم لسان العرب - بأشعار شعراء كثيرين، من تلك القبائل التي قال الفارابي إنها لم تؤخذ عنها اللغة، كما وقع الاحتجاج بما جاوز النطاق الزماني.(١)

لذا رأيناه يدعو إلى ضرورة إعادة (النظر في معيار الفصاحة أو السلامة اللغوية، بحيث لا يُحْكم على كل جديد في اللغة بأنه مُوَلَّدٌ بمعنى أنه خطأ مرفوض، بل ينبغي أنْ نترجم ذلك الموقف التطبيقيّ لأئمة اللغة في معيارٍ يقول: إنّ الجديد يُقْبل من علماء اللغة الموثوق بفصاحتهم وأمانتهم، وهم أهل الأصالة العربية فقهًا وولاءً وانتماءً من شعراء ولغويين، وبشرط أنْ يكون ما يأتي به هؤلاء وأولئك متفقًا مع الأصول العربية في كل مجال من مجالات التجديد بحسبه).(٢)

ويُلِحُّ في دعوته تلك (لعلنا تقتنع بضرورة مراجعة معايير الاحتجاج تلك، وإعادة وضعها بصورة تحفظ علينا القديم، ولا تحرمنا من طيب الجديد الذي جادت – أو تجود - به قرائح علماء اللغة وأصحاب الحسّ المطبوع فيها من الأدباء – شعراء وناثرين – بعد عصر الاحتجاج).(٣)

وفي موطن آخر يدعو صراحة إلى فتح باب الاستشهاد، وذلك بعد دراسة مستفيضة ثبت لديه من خلالها وقوعُ الاحتجاج بما خرج عن النُّطُق

(١) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة، د. جبل، ص١٠٤ وما بعدها.
(٢) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٧٧، ٧٨.
(٣) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٨.

المضروبة حول معيار الاحتجاج، سواء في ذلك النُّطُق القَبَلِيَّة والمكانِيَّة والزَّمانِيَّة، وخلص إلى القول بأنه (لا ينبغي أن نقف بالسماع والاستشهاد عند النُّطُق التي حددها القدماء، وأن علينا أن نفتح السبيل للصيغ والتراكيب والاستعمالات التي يبتكرها أصحاب الملكة اللغوية العربية السليمة، من الشعراء والأدباء والعلماء، وكذلك للمعاني الجديدة التي يحملونها للكلمات والصيغ القديمة، ما دامت العلاقة بين المعنى الجديد وأصله مقبولة غير متكلفة، وما دام كل ذلك متسقًا مع الأصول والضوابط العامة للغة).[١]

ومما سبق يحق لنا القول بأن نُطُقَ الاحتجاج - التي وضعها الأقدمون - كان الهدف منها الحفاظ على سلامة اللغة ونقائها، وهو هدف نبيل - دون شك - لكن أدي ذلك إلى حرمان اللغة من ثروة عظيمة، لذا رفض مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه النطق، ورأى ضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بإنهاض اللغة العربية وتطويرها، بحيث تساير النهضة العلمية والفنية في جميع مظاهرها، وتصلح موادها للتعبير عما يُسْتحدث من المعاني والأفكار، فاتخذ المجمع عدة قرارات منها: تحرير السماع من قيود الزمان والمكان، والاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتُها بالألفاظ المأثورة عن القدماء، وبناء على ذلك أدخلت لجنة (المعجم الوسيط) في متنه ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولَّدة أو المحْدَثة، أو

(١) الاستشهاد بالشعر في اللغة ص٢٣٦

المعرَّبة، أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم، وجَرَتْ بها أقلامهم.(١)

والأمر نفسه اتبعه المجمع في إخراج (المعجم الكبير) إذ رأى أن اللغة العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات وحدها، بل لها مظانّ أخرى يجب تتبعها والأخذ عنها، وفي مقدمتها كتب الأدب والعلم، ومن الخطأ أن يُرفض لفظ لأنه لم يرد في معجم لغويّ، كما رأى أن من الظلم أن نقف باللغة عند حدود معينة، فالمعجم الحديث ينبغي أن يعبر عن عصور اللغة جميعها، وأن يُسْتشهد فيه بالقديم والحديث على السواء.(٢)

المستدركات:

بناء على ما سبق من تأصيل نظري لما استدركه على معجمي: (لسان العرب، وتاج العروس) شرع في عرض مستدركاته، وهي عنده نوعان، هما:

١- مستدركات أصيلة أُخذت من نصوص عصر الاحتجاج، وقد بلغت نحو مئة وثلاثين.

٢- مستدركات خارجة عن نطاق الاحتجاج والتي تُسمَّى بالمولَّد، وقد بلغت نحو سبعين، وهذا النوع من المستدركات له طابع خاصّ يتمثل في أنها جميعًا مُلْتَقَطَةٌ من كلام أئمة اللغة الذي استعملوه وهم يفسرون ألفاظ

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص٢٦، ٢٧.
(٢) ينظر: المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية ١/و، ط، ١٩٧٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

اللغة في معجم (لسان العرب) غالبًا، أو من كلامهم في غيره من دواوين متن اللغة أحيانًا.(١)

مناطات الاستدراك:

ذَكَرَ تحت هذا العنوان أنّ مناطات الاستدراك (تشمل كل الصور التعبيرية للغة: من التراكيب والألفاظ، والصيغ، والعبارات، والمعاني، والاستعمالات).(٢)

(الاستدراك) ما له وما عليه:

تجدر الإشارة – هنا – إلى أنّ كتاب " الاستدراك " هذا قام بدراسته ونقده الدكتور أحمد رزق السواحلي، في دراسة جادّة، بذل فيها صاحبها – رحمه الله تعالى – جهدًا مشكورًا، حيث تناول كتب الاستدراك ـ قديمها وحديثها – بالتحليل والنقد.

وفي المبحث الخاص بكتاب الدكتور جبل بدأ بالثناء على الكتاب ومؤلِّفه ومنهجيته، وأشار إلى تقريظ الدكتور محمود الطناحي له، ثمّ كانت له بعد ذلك وقفاتٌ معه، فوافق وخالف، سواء فيما تناوله كتاب " الاستدراك " من جانب نظريّ، أو جانب تطبيقيّ.(٣)

---

(١) ينظر: الاستدراك على المعاجم العربية، ص٧٩.
(٢) الاستدراك على المعاجم العربية، ص٨٦.
(٣) ينظر: أصول الاستدراك اللغوي دراسات في المستدرك على المعجمات العربية، د. أحمد رزق السواحلي، ص٢٩٨ وما بعدها، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ولعل الأجدر بالإشارة إليه – هنا – حديثه عن الجانب التطبيقيّ، وخلاصة ما ذهب إليه أنّ كتاب " الاستدراك " يشتمل على مائتين واثنين من نوعي المستدركات اللفظية والمعنوية، وأنّ دراسة هذه المستدركات أفضتْ إلى الحُكْم على بعضها بالصّحة، وعلى بعضها الآخر بأنها غير منقادة.

أما ما ذكره من المستدركات الصحيحة من الألفاظ فهو:

١- قولهم: صَدَّأَ المرآةَ: عالَجَ صَدَأَهَا ليزول، والمقصود: دَلَكَهُ بمسحوق الحَجَر؛ ليختلط الصَّدأُ بالمسحوق، أي أنّ هذه الصيغة مستعملة لما يُسمّى: السّلب، ووَرَدَ في " تاج العروس " ما يؤيّد صحة هذا الاستدراك، ففيه: (يُقَال: صَدَأَ المِرْآةَ ،كَمَنَعَ، وصَدَّأَهَا تَصْدِئَةً: إذا جَلَاها، أَي: أَزال عَنْهَا الصَّدَأَ؛ لِيَكْتَحِلَ بِهِ)(١)، فهو مما يستدرك على اللسان دون التاج.(٢)

٢- انتبط الكلام: إذا استخرجه، ويؤيد صحة الاستدراك ما وَرَدَ في " تاج العروس ": (وتَنَبَّطَ الكَلامَ: اسْتَخْرَجَهُ... والصَّوابُ: انْتَبَطَ الكلامَ).(٣)(٤)

(١) تاج العروس ٣٠٩/١ (ص د أ).
(٢) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص٩٣، أصول الاستدراك، ص٣٠٠، ٣٠١.
(٣) تاج العروس ١٣٢/٢ (ن ب ط).
(٤) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص ١٨٧، أصول الاستدراك، ص٣٠١.

ومن المستدركات الصحيحة في جانب المعنى:

١- استدراك وَصْف الشيء الجامد أو المعنى فيه بأنه: لئيم، أي: قليل ضئيل، أو متماسك.(١)

وذهب الدكتور السواحليّ إلى أنّ مما يقوّي صحة الاستدراك هنا قولهم: تلاءم القوم: اجتمعوا واتفقوا، وتلاءم الشيئان: إذا اجتمعا واتصلا، فالاجتماع والاتصال من لوازم الجمود والتماسك.(٢)

٢- استعمال (لحم) في نزع اللحم من غير العظم، كالعصب في العقب.(٣)

وعلّق الدكتور السواحليّ على هذا الاستدراك بقوله: (وهذا من التعميم الصحيح للخاصّ).(٤)

فهذه المستدرَكات الأربعة عرضها الدكتور السواحلي ورأى أنها صحيحة، ثمّ أشار إلى مُستدرَكين آخرين رَأى صِحَّتهما، وهما:(٥)

١- انْتَشَصَ، بمعنى: ارتفع وانقلع، من قول الراجز:

وجُرَّةٍ تَنْشُصُها فَتَنْتَشِصْ

من خالِعٍ يُدْرِكُه فَتَهْتَبِصْ

(١) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص٢٣٦، ٢٣٧.
(٢) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣٠١.
(٣) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص٢٣٧، ٢٣٨.
(٤) أصول الاستدراك، ص٣٠١.
(٥) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣١١ هامش رقم: ٢.

وهي صيغة لازمة مطاوعة للفعل: نَشَصَ.(١)

٢- الشَّقْفَة بمعنى: السَّلْعَة، من قول ابن الأعرابي: الحَرْصةُ، والشَّقْفة، والرَّعْلة، والسَّلْعَة: الشّجَّة.(٢)

أما النوع الثاني وهو ما أفضت الدراسة إلى الحُكم بأنه غير منقاد فمن الألفاظ:

-استدراك لفظ (مَطْرَق) اسْم مكان من الطَّرْق، أي: المكان المتَّخَذ طريقًا، وقد استدركها الدكتور جبل من قول الأزهري: " وقد قَطَعْتُ الدَّوَّ مع القَرامِطَة - أَبادَهُم الله - وكانت مَطْرَقَهُم قافلين من الهَبِير...".(٣)

لكن الدكتور السواحليّ خالفه في ذلك، وذهب إلى أنّ الأزهريّ لم يُرِدْ صيغة اسم المكان، وإنما أراد (مَطْرق) من الطَّرْق وهو: سُرْعة المشْي، أي أنهم كانوا يُسْرعون في هذه الفلاة خاصّة، وأيّد ما ذهب إليه بقول الزَّبيديّ: " ووَجَدْتُ فِي بعضِ الدَّواوِين أنَّ الدَّوَّ لُغَةٌ فارِسِيَّة، كَانَ السالِكُ فِيهَا يقولُ لصاحِبِه: دَوَّ دَوّ، أَي أَسْرِعْ أَسْرِعْ "، وعلّق على قول الزَّبيدي بأنه ينسجم وأصول الفارسية.(٤)

---

(١) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص١٨١. والجُرَّة خَشبة يُثَقَّل بها حِبالة الصائد فإذا نَشِب فيها الصَّيْد أَثْقَلَتْه. وتَنْشُصُها: تُحَرّكها وترفعها.
(٢) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص١٩٩، ٢٠٠.
(٣) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص٢٠٦، وينظر قول الأزهري في: تهذيب اللغة ٢٢٤/١٤ (د و).
(٤) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣٠٣، ٣٠٤.

ومن المعاني:

١- استدراك (حَجَمَ) في معنى: اخْتبر وجَسَّ، حَجَمَ الرَّجُلَ: خَبَرَهُ فعَرَفَ قَدْرَه في أمْرٍ ما، وذلك من قول الأحنف بن قيس لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند التحكيم ذاكرًا أبا موسى رضي الله عنه: " إنّي قَدْ حَجَمْتُ الرجلَ وحَلَبْتُ أَشْطُرَه ".(١)

وهذا تحريف عن (عَجَمَ) - بالعين المهملة -، يُقال: عَجَمْتُ الرَّجُلَ: إذا خَبَرْته.(٢)

٢- استدراكه: فَضَحَ – بالحاء المهملة – الدّمّلَ أو البَثْرة، بمعنى: فَتَحَه ليخرج قيحه.(٣)

وهذا – أيضًا – تصحيف عن (فَضَخَ) – بالخاء المعجمة -.(٤)

وذهب الدكتور السواحليّ إلى أنّ بعض المستدركات تقبل المناقشة، وذكر منها:(٥)

- استدراك الأَلْيَس: فيمن لا يبرح بيته من الرجال.

---

(١) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص٢٢٧، ٢٢٨.
(٢) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣٠٢.
(٣) ينظر: الاستدراك على المعاجم، ص١٣٠.
(٤) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٥) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣٠٤.

- المرَّفَّد – كَمُعَظَّم – اسم مفعول بمعنى: تعظيم جرم الشيء، فهو استدراك قائم على التخصيص مع سَهْوٍ عمّا وَرَدَ نصًّا في اللسان: رُفِّدَ فُلانٌ: سُوِّدَ وعُظِّمَ، والمِرْفَد العُظَّامةُ تَتَعَظَّم بها المرأَة، أي: تُكَبِّر وتُعَظّم بها جَسَدَها.

- استدراكه (مَبَاءَة) في معني: بيت النّحل في الجبل، وهذا – كما يقول السواحلي – من تخصيص العامّ، حيث وّرّد اللفظ في معنى المنزل عامًّا.

ومن المآخذ – أيضا:(١)

- استدراك صيغة المبالغة (رَبَّاء) التي لم ينصّ عليها معجما " لسان العرب " و" تاج العروس " مع وجود المعنى في حقل المادة، والدافع إلى هذا الاستدراك يتمثل في الانطلاق من فكرة تُلزم المعجميّ ذِكْرَ جميع الاستعمالات القياسية التي تتفرع عن الجذر الواحد، مع أنّ المتقدمين كانوا يتركون النّصّ على القياسيّ للعلم به، وإيثارًا للإيجاز.

- أما استدراك (مَبَاءة) لمعنى: بيت النحل في الجبل، مع ورودها في المعجمات للمنزل، أو البيت عامًّا، فهو من باب افتراض المستدرِك أنّ المعجميّ مُلزم بتطبيق المعنى العامّ على كلّ ما يمكن أنْ يُضاف إليه أو يتحمله، وهذا من التخصيص دون داع.

(١) ينظر: أصول الاستدراك، ص٣١٠، ٣١١.

خلاصة القول:

لخّص الدكتور السواحليّ رأيه في كتاب " الاستدراك على المعاجم " بقوله: (ومما كشفت عنه دراسة الكتاب أنّ كثيرًا من مُسْتدركاته صحيح، وبعضها غلطٌ مبنيٌّ على تحريف أو تصحيف، وكان يحسن أنْ يتسلّح المستدرِك بالحذر الشديد والاحتياط والأناة، حتى لا يضيف إلى اللغة ما ليس منها، وبعض المستدركات قائم على خلاف في عبارة التفسير مع أنّ المعنى واحدٌ، وبعضها بابه تخصيص العامّ، وبعضها اسْتُدرك على تاج العروس مع نصّه عليه، وكان حقّه ألا يُستدرك إلا على اللسان).([1])

وهذه المقولة أو هذه الشهادة ـ المدونة في دراسة جادّة ـ تنصّ على أن كثيرًا من مستدركات الدكتور جبل صحيح، وهذا يعضد ما يرمي إليه هذا المطلب من الإشارة إلى جهود الدكتور جبل في (الاستدراك) وهو مجال تطبيقيّ للحفاظ على الثروة اللفظية وتنميتها.

(١) أصول الاستدراك، ص٣١١.

المطلب الثاني

استحداث ألفاظ جديدة

تجدر الإشارة - هنا – إلى أنّ الألفاظ التي استحدثها الدكتور جبل ما هي إلا مجرد اقتراح، كما نصّ هو على ذلك(١)، وكما تشير إلى ذلك بعض عباراته،(٢)، لكنه في أحد المواطن جعلها من باب الابتكار.(٣)

أما عن الألفاظ التي اقترحها الدكتور جبل، فقد ورد في كتابه: (علم الاشتقاق) عددٌ لا بأس به من الأسماء الجديدة لبعض المسميات الحديثة، حيث اقترح ثلاثين اسْمًا، لخمسة وعشرين مُسَمًّى(٤)، ويمكننا القول بأن الأسماء المقترحة بلغت ثمانية وثلاثين اسمًا(٥)، وكان يعتمد في هذا الاستحداث على الاشتقاق، ما عدا موطن واحد فقط فاعتمد فيه على النقل(٦)، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤٩، ١٥٠.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣، حيث قال: (كأنْ نأخذ من...)، ص١٤ حيث يقول: (كما قد يسمى...)، ص٦٦، ٦٧ يقول: (كأن نصوغ...)
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٠.
(٤) فقد كان يقترح أحيانًا اسْمين من جذرين مختلفين للمُسَمّى الواحد، كما في: الرّضَاف، والمِيغَار، للسخان الكهربي. ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣٣، ١٥٠، ٢٦٩.
(٥) كان يقترح أحيانًا للمسمَّى الواحد اسْمين من جذر واحد، والاختلاف حينئذ يكون في الصيغة، كما في: المَرْقَمِيّ، أو المَرْقَمِيَّة: للهاتف الذي يُظْهِر رقم هاتف محدثك. ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٦) ذلك عندما اقترح إطلاق اسم: المقَنْطِر على المليارديرد. ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.

أولا: استحداث اسم واحد للمُسَمّى الواحد:

وهذا النوع هو الغالب فيما استحدثه الدكتور جبل، وبلغت هذه الأسماء خمسة عشر اسْمًا، منها أربعة عشر اسْمًا عن طريق الاشتقاق، واسْمٌ واحد فقط عن طريق النَّقْل.

أ- ما استحدثه عن طريق الاشتقاق:

١- الحَسَّابَة: للآلة الحاسِبَة، واقتراح هذا الاسم جاء في معرض بيان ما يُتيحه الاشتقاق الدلاليّ الجزئيّ من استحداث لفظ لمعنى جديد،(١) ولم يوضح علّة اقتراح هذا الاسم دون غيره، ولعل السبب يرجع إلى وضوح العلاقة المعنوية بين المأْخذ والمشتقّ، وهي: الحساب.

لكن يمكن القول بأنّ الدكتور جبل مسبوق في اقتراح هذا الاسم، فهو من الألفاظ المتداولة على ألسنة كثير من الناس، وكان يمكن القول بأنه عرضه على أساس إثبات دور الاشتقاق الدلاليّ الجزئي في استحداث الألفاظ، لا على أنه صاحب الاقتراح، لكن وجوده بين ألفاظ سابقة عليه ولاحقة له استحدثها الدكتور جبل هو ما دعانا إلى سرده هنا على هذا النحو والتعليق عليه.

٢- الحوسبيّ: للتعبير بها عمّنْ تخصصه العمل بالحاسوب(٢)، وهذا الاسم كسابقه من حيث وضوح العلاقة بين المأخذ والمشتقّ.

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٦، ٦٧.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.

٣- الأخيولات: الأفلام، وهذا الاسم وَرَدَ عَرَضًا في ثنايا كلامه وهو بصدد اقتراح اسْمٍ لما يُعرف بالفيديو، حيث قال: (والمِعْراض، لما يُسَمَّى: الفيديو، حيث إنّ وظيفته هي عرض المسجَّلات من أخيولات " أفلام " وغيرها فحسب)(١)، ولعله أخذه من الخَيَال، وهو: خَشَبة عَلَيْهَا ثِيَابٌ سُودٌ تُنْصب لِلطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ عَلَى الْمَزْرُوعَاتِ لِتَظُنَّهُ إنسانًا وَلَا تَسْقُطَ فِيهِ، والخَيَال والخَيَالة: مَا تَشَبَّه لَكَ فِي اليَقَظة والحُلُم مِنْ صُورَةٍ، والخَيال: كل شيء تراه كالظِّلِّ، وكذلك خَيَال الإنسان في المرآة، وخَيَاله فِي الْمَنَامِ: صُورَةُ تِمْثاله.(٢)

٤- الطَّيُّوف: الهاتف الذي يُظْهِر صُور المتحدثين(٣)، ولم يذكر مأخذه، لكن يمكن القول بأنه أخذه من الطَّيْف بمعنى: الخيال(٤)، حيث إن صور الأشياء البعيدة هي من أهمّ ما يأتي به هذا النوع من الهواتف ويميزه، وهذه الصور تشبه الأطياف.

---

(١) علم الاشتقاق، ص١٣٣.
(٢) ينظر: العين ٤/ ٣٠٥، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ١٦٩١/٤، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، لسان العرب ١٣٠٧/٢ (خ ي ل).
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٤) وذلك بناء على ما وَرَدَ في موطن آخر من تسمية التليفزيون: بالمطياف. ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤، ٢٦٩.

٥- الغِفَارَة: لما تُغَطّى به السّلعةُ عند شرائها(١)، ولعله أخذه من معنى: التَّغْطية أو السَّتْر الذي يُقصَدُ به الحمايةُ وما إليها، كما في الغِفَارَة: وهي خِرْقَةٌ تَكُونُ دُونَ المِقْنَعة تُوَقِّي بِهَا المرأَةُ الخِمَارَ مِنَ الدُّهْن.(٢)

٦- الغَفَر: لما يُغَطّي الذَّهَبَ، وذلك في قولنا: إنّ الذَّهَبَ غَفَرَهُ طول استعماله، أي: غَشَّاه فأذهبَ بريقه.(٣)

٧- الكُتْبَة: مُثَبِّت سِلْك الكَهْرُباء على الحائط (الكلبس)، أخذًا من " كَتْب القِرْبَة " بمعنى: خياطة حافات الجلد بعضها على بعض ليصير قِرْبة، فَكُلٌّ منهما نوْعٌ من الإلصاق أو التَّثْبيت، ففي القِرْبة إلصاق حافات الجلد بعضها ببعض بواسطة الخياطة ليصير كالكيس فيصبح قربة، وفي الكُتْبَة إلصاق سلك الكهرباء، أي: تثبيته على الحائط.(٤)

٨- المَأْلَفَة: المليون؛ لأن المليون ألف ألف.(٥)

وأقول: إذا كان لفظ (المأْلَفَة) يدلّ على مَنْ يملك الآلاف فإنه لا يدلّ – بالضرورة – على مَنْ يملك ألْفَ ألْفٍ (المليون).

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١.
(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٣٢٧٤ (غ ف ر)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل ١٥٩٤/٣ (غفر)، ط١، ٢٠١٠م، مكتبة الآداب، القاهرة.
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١.
(٤) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣، ١٤.
(٥) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.

٩- المِبْسَطَة: آلة السِّشْوار(١)، ولعله أخذه من البَسْط بمعنى: تفلطح الشيء وانفراشه أو اتساعه، كما في قولهم: بسَط الشيءَ: نَشَرَهُ، وأَرض بَساطٌ وبَسِيطةٌ: مُنْبَسطة مستويَة، والبَسْطُ: نَقِيضُ القَبْضِ.(٢)

١٠- المَجَّاج: قلم الحِبْر السّائل(٣)، ولعله أخذه من قولهم: مَجَّ الشرابَ والشيءَ مِن فِيهِ يَمُجُّه مَجّاً ومَجَّ بِهِ: رَماه. والمُجَاجَةُ: الرِّيقُ الَّذِي تَمُجُّهُ مِنْ فِيكَ. ومُجاجةُ الشيءِ: عُصارَتُه. ومُجاجُ الجَرادِ: لُعابُه. ومُجاجُ فمِ الْجَارِيَةِ: رِيقُها. ومُجاجُ الْعِنَبِ: مَا سالَ مِنْ عَصِيرِهِ(٤)؛ لذا ذهب الدكتور جبل إلى أن المعنى المحوريّ للتركيب هو: (اندفاع المائع أو الرَّقيق مما يَضُمُّه بسلاسة بسبب تجمّعه وكثرته).(٥)

١١- المُسَوِّقَة: البنطلون، أخذًا من السَّاق؛ لأنه مَلْبَسٌ يتميز بأنه يكسو الساقين بطولهما متميزتين.(٦)

١٢- المِنْدَى: بدلاً من ميكروفون ومُكَبِّر صوت، أخذًا من: نَدِيَ صوتُهُ: بَعُدَ مَذْهَبُه.(٧)

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٢) ينظر: لسان العرب ١/ ٢٨٢ (ب س ط)، المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ١٢١ (بسط).
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٤) ينظر: لسان العرب ٦/ ٤١٣٦، ٤١٣٧ (م ج ج).
(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢٠٣١ (مجج).
(٦) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١،٢٠، ٦٧.
(٧) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧، ٢٦٩.

١٣- المِنْفاق: مترو الأنفاق(١)، ولعله أخذه من النَّفَق، وهو: سَرَبٌ فِي الأَرض مُشْتَقٌّ إِلَى مَوْضِعٍ آخَر، والنُّفقةُ والنافِقاء: مَوْضِعٌ يُرَقِّقُهُ الْيَرْبُوعُ مِنْ جُحره، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ القاصِعاء ضَرَبَ النافِقاء برأْسه فَخَرَجَ.(٢)

ومن المعلوم أنّ هذا النوع من القطارات يسير في سَرَبٍ في باطن الأرض، يُصَنَع له خاصّة.

١٤- المِئْنَسَة: الآلة التي يُسْتَأْنَسُ بها وجود صاحب المنزل فيه، وهي التي تسمّى: إنتركم.(٣)

بـ ما استحدثه عن طريق النقل:

اقترح الدكتور جبل اسمًا واحدًا فقط عن طريق النقل، وهو:

المُقَنْطِر – بضم الميم- لمعنى: الملياردير.(٤)

ولعلّ لهذا الاستحداث وَجْهًا، حيث الغرض منه الدلالة على كثرة ما يملك هذا المقَنْطِرُ من الأموال، يؤيد ذلك قول ابن سيده (ت٤٥٨هـ): (وَقَنْطَر الرجلُ: مَلَكَ مَالًا كَثِيرًا، كأَنه يُوزَنُ بالقِنْطار).(٥)

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٢) ينظر: لسان العرب ٦/ ٤٥٠٨ (ن ف ق).
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٤) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٥) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ٦/ ٦٢١ (ق ن ط ر)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وينظر: لسان العرب ٥/ ٣٧٥٣ (ق ن ط ر).

ثانيًا: استحداث أكثر من اسم للمُسَمَّى الواحد:

وقد بلغ عددُ المسَمَّيات لهذا النوع عشرة مُسَمَّيات، وجاءت على ثلاثة أقسام:

أ- مُسَمَّيات لها اسمان من جذرٍ واحد:

وفي هذه الحالة يكون الاختلاف في الصيغة فقط، وقد وَرَدَ من ذلك اثنا عشر اسْمًا لستة مُسَمَّيات، وهي:

١- التِّلِيفْرِيك: (سُمّي بالقطار المعلق، أو العربات المعلقة، أو عربات الكابل) اقترح له اسْمَيْن، هما:

طَفَّار، أو مِطْفَار: لكنه لم يُوَضّح المأخذ ولا علّة التسمية(١)، ولعله أخذهما من الطَّفْر وهو: وَثْبةٌ في ارتفاعٍ، كما يَطْفِرُ الإنسانُ حائطًا، أَي: يَثِبُه، يقال: طَفَرَ الحائطَ: وَثَبَه إلى ما وراءه.(٢)

٢- سيارة الأجرة: اقترح لها اسْمَيْن، هما:

أَجورة، أو مَأْجُورة: ولم يَذْكر المأخذ ولا علّة التسمية(٣)، ولعله أخذهما من الأَجْر بمعنى: الجزاء على العمل، أو الأُجْرَة بمعنى: الكراء، والأُجْرَة، والإجارة، والأُجارة: ما أعطيتَ من أجْر.(٤)

---

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٦٩.
(٢) ينظر: العين ٤١٧/٧، المحكم ١٥٢/٩، لسان العرب ٢٦٧٩/٤ (ط ف ر).
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٦٩.
(٤) ينظر: العين ١٧٣/٦، المحكم ٤٨٤/٧، ٤٨٥، لسان العرب ٣١/١، ٣٢ (أ ج ر).

٣- الفيديو: اقترح له اسْمَيْن، هما:

العَارِض أو المِعْرَاض(١)، وفي موطن آخر اقتصر على اسم واحد هو: المِعْراض، وعلل التسمية بأن وظيفته هي عَرْضُ المُسَجَّلات من أَخْيُولات (أفلام) وغيرها فحسب.(٢)

٤- المليونير: والاسمان اللذان اقترحهما هما:

المَأْلَفَان، أو المَأْلَفانيّ: وعلّل ذلك بأنّ المليون: ألْفُ ألْفٍ.(٣)

وأقول: صحيح إنّ المأْلَفَان، والمأْلَفانيّ يشيران إلى مَنْ يملك الآلاف، لكن لا يشيران بالضرورة إلى من يَمْلك ألْفَ ألْفٍ فما فوقها، كما يشير لفظ المليونير إلى مَنْ يملك المليون أو الملايين.

٥- الهاتف الذي يظهر رقم هاتف محدثك: اقترح له اسْمَيْن، هما:

المَرْقَمِيّ، أو المَرْقَمِيَّة – بفتح الميم الأولى فيهما-، ولم يذكر المأخذ أو علّة التسمية(٤)، ولعله أخذهما من الرَّقْم بمعنى: الكتابة والخَتْم. والرَّقْمُ والتَّرقيمُ: تَعْجيمُ الكتاب. والمَرْقُومُ من الدَّوابّ: الذي في قوائمه خُطُوطُ كَيَّاتٍ.(٥)

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣٣.
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٤) ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.
(٥) ينظر: لسان العرب ٣/ ١٧٠٩ (ر ق م).

٦- الهَنَةُ الإسفنجية الليفية التي توضع على أطراف الأحذية والحقائب والأردية، بديلاً للأربطة والأزرار، ذكر لها اسْمَيْن، هما:

النَّشُوبَة، والنِّشَابَة، وذلك أخذًا من الفعل: نَشِبَ، الذي يُعَبِّرُ عن تعلّق شيء بأثناء شيء بحيث لا ينفصلان بسهولة(١)، كما يقال: أنْشَبَ البازيّ مخالبه في الأخيذة، ونَشِبَ الصَّيْدُ في الحِبَالة، أي: عَلِقَ فيها، فالهنة المذكورة تُمسك جوانب غطاء الحذاء والحقيبة وأطراف المعطف بعضها إلى بعض إمساكًا قويًّا، حيث تتداخل الزوائد الشوكية لكلّ من جانبيها في أثناء الجانب المقابل؛ فلا يتسيّب منه إلا بجهد متعمّد. وهذا يشبه نشوب مخالب البازيّ في الأخيذة؛ فلا تستطيع الإفلات منها، وكذلك نشوب الصَّيْد في الحِبَالة، حيث تَعْلق بعضُ أطرافه في أثناء الحِبَالة، فتنعقد عليه تلك الحبال ولا تُفْلته، وبناء على ذلك فالتشابه بين الاسم المقْتَرَح (بوظيفة مُسَمَّاه) وحقيقة معنى الفِعْل المأخذ بالغٌ غاية القوّة.(٢)

ب- مُسَمَّيات لها اسمان من جذرين مختلفين:

وعلى هذا القسم وَرَدَ مُسَمَّيان اثنان، هما:

١- السَّخَّان الكهربيّ، حيث اقترح له اسْمَيْن، هما:

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٠، ١٣٣.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤٩، ١٥٠.

الرِّضاف: وهذا الاسم اقترحه – كما قال - للقضيب المعدنيّ أو الأنبوب الكهربيّ الذي تُحْميه الكهرباء، فيُغمر في الماء ونحوه، فيسخنه ويوصله إلى درجة الغليان في لحظات، وذلك أخذًا من الرَّضْف: الحجارة التي تُحمى بالنار أو الشمس، ثمّ تُسْقط في اللبن ليَسْخن أو يَغْلي(١)، والشبه بين المشتقّ بوظيفة مُسَمَّاه وبين الرَّضْفَة الموصوفة وعملها بالغ القوّة، فكلاهما: شيْءٌ صلب، ويُحْمَى جيدًا، ويُغْمَر في المائع ماءً أو لبنًا أو ما إلى ذلك، فيُسخن المائع أو يغليه.(٢)

المِيغَار: وهذا الاسم اقترحه للسَّخَّان الكهربيّ – كذلك - الذي يُغْمَر في الماء ونحوه فيسخنه، أخذًا من: أوغَرَ الماءَ واللبنَ: أحْماه بإلقاء حجر مُحْمًى فيه.(٣)

٢- مفتاح الكهرباء، وقد اقترح له اسْمَيْن، هما:

المِشْعَل: مفتاح الكهرباء، أخذًا من الشّعلة التي هي لهب النار.(٤)

المِقْبَس: مفتاح الكهرباء، أخذًا من القَبَس بمعنى: الجذوة.(٥)

ج- مُسَمّيات لها أكثر من اسمَيْن من جذرَيْن مختلفين:

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٣٣.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٥٠.
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٦٩.
(٤) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤.
(٥) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤.

وعلى هذا القسم وَرَدتْ ستة أسماء لمسَمَّيَيْن اثْنَيْن، لكلّ واحد منهما ثلاثة أسماء، جاءت على النحو التالي:

١- التليفزيون: وقد اقْتَرَحَ له ثلاثة أسماء، أحدها من جذر، والآخران من جذر آخر، وهي:

المِطْيَاف: أخذًا من الطَّيْف بمعنى: الخيال، حيث إن صور الأشياء البعيدة هي أهمّ ما يأتي به التليفزيون ويميزه، وهي تشبه الأطياف، وذكر أنّ هذه الكلمة الجديدة معناها جديد – أيضًا – بالنسبة لمعنى المأخذ العربيّ، ولكنه مع ذلك مناسب له لا مماثل، فالأطياف من باب الصور التي يعرضها التليفزيون في كون كلّ منهما خيالاً لا حقيقة له تُمسَك باليد، وأنّ كُلاًّ منهما صورة لشخص أو حيوان أو شيء، كما أنّ كُلاًّ منهما عابر غير ثابت، لكن الطّيف في معناه العربيّ القديم أخفى في ذاته؛ فقد يُعَدّ خُطور ذكر المحبوبة على القلب طيْفًا، كما أنه حتى لو تمثّل خيالاً فإنه لا تتميز فيه الملامح بهذا الوضوح والتَّحَدُّد اللذين تبدو بهما الصور في ذلك الجهاز، فهما غير متماثلين.(١)

مَصَارَة أو مَصْوَرَة: أخذًا من الصُّورة(٢)، وهذا الاسمان – كما هو واضح- من جذر واحد، وهو يختلف عن الجذر الذي أُخذ منه الاسم السابق (المِطْياف).

٢- الفاكس: وقد اقْتَرَحَ له أربعة أسماء، ترجع إلى ثلاثة جذور، وهي:

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص١٤، ٢٦٩.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٦٩.

طَرْفِيَّة: أخذًا من الطَّرْف – بسكون الراء – بمعنى: غطاء العين؛ نظرًا لسرعة ارتداده، وهو – هنا- صفة يُسْتغنى بها عن الموصوف: "رسالة " طَرْفِيَّة.(١)

مُؤَنَّاة، أو آنِيَّة: أخذًا من لفظة: الآن، وهما هنا - كذلك - صفة يستغنى بها عن الموصوف: " رسالة " مُؤَنَّاة، أو " رسالة " آنِيَّة.(٢)

مِبْرَقة العرائض: ولم يذكر مأخذ هذا الاسم(٣)، ولعله أخذه من البرق، ويلاحظ أن الاسم المقترح هنا وَرَدَ مُرَكَّبًا، وهذه هي المرة الوحيدة التي اقترح فيها اسْمًا مُرَكَّبًا.

تعقيب:

استحداث الألفاظ أمْرٌ له خَطَرُه وقيمتُه، وإذا كُنّا نعيش في عصر العمل المؤسسي؛ لأنه الأكثر أمانًا من العثار، فأقترح عَرْضَ ما يُسْتحدث من الألفاظ على مجامعنا الموقرة، حيث تقوم بدراسته، وبيان القول الفصل بشأنه، فما أجازته المجامع فهو مُجازٌ، وما رفضته فهو مرفوضٌ غير مقبولٍ، ولعل هذا الاقتراح يجد صداه بشأن ما اقترحه الدكتور جبل، فيجد مَنْ يعرضه على مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ليُقْبل ما يمكن قبوله منه، ويُرفض ما لا يكون له وَجْهٌ من القبول عند أعضاء المجمع الأجلاء، وبهذا يأخذ ما يُقبل من هذه الألفاظ سبيله إلى الانتشار بين الناس على أساس

(١) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١، ٦٧.
(٢) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢١، ٦٧، ٢٦٩.
(٣) ينظر: علم الاشتقاق، ص٢٦٩.

متين، إذ يكون قد حاز شهادةً من أكبر هيئة لغوية في مصر، بل في العالم العربي أجمع.

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع جهود الدكتور محمد حسن جبل في تنمية الثروة اللفظية للغة العربية، باعتدادها نموذجًا لجهود المحْدَثين في هذا المجال، يمكننا تسجيل عدد من النتائج والتوصيّات، منها:

- أنّ وَفْرَة الثروة اللفظية لأيّ لغة دليل حيويتها وبقائها، وعامل من عوامل استمرارها في أداء رسالتها المنوطة بها.

- الثروة اللفظية عبارة عن الألفاظ التي تمتلكها اللغة للتعبير عن المحسوسات والمعنويات الموجودة بالفعل، وإمكانية الاستفادة من هذه الثروة في التعبير عمَّا يُستجدّ في واقع الحياة بالوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض، مما يجعل اللغةَ قادرةً على مواكبة العصر.

- كل لفظ من ألفاظ العربية يدخل ضمن ثروتها اللفظية دخولاً مباشرًا، خلافًا لمن يرى إخراج الحروف والأدوات، والضمائر، وأسماء الإشارة ..الخ من هذا المجال.

- ما زالت اللغة العربية تمتلك الميزات التي جعلتها – قديمًا – قادرة على استيعاب ما جَدّ في حياة العرب.

- استحداث الألفاظ ليس ترفًا، بل تدعو إليها الحاجة الملحّة للبعد عن التبعية الفكرية والذوبان في شخصية الآخر، كما يفرضه اللحاق بركب العصر الذي نعيشه، وهو إثباتٌ لمقدرة اللغة العربية على

مواكبة العصر، وشهادةٌ على عدم عجزها عن الوفاء بحاجات أهلها.

- كان للدكتور جبل جهدٌ بارزٌ في الدعوة إلى تنمية الثروة اللفظية، ووضع أسماء لما يُسْتجدّ في واقع الحياة، واستحداث الألفاظ - في رأيه - هو أهم ما يعين اللغة على أداء وظيفتها.

- حضور الصورة الذهنية ووضوحها له أهمية كبيرة في استحداث الألفاظ، فهو يكاد يكون السند الأساسيّ على استحداث مفردات من نفس الجذر المعَبِّر عن الصورة.

- وَضْعُ الألفاظ الجديدة للمعاني الجديدة حَقٌّ للعرب السليقيين، ومتاحٌ للذين يأخذون اللغة دراسة وصناعة إذا تمكنوا فيها تمكُّن السليقيين.

- يرى الدكتور جبل أنّ منشأ مفردات اللغة العربية المذكورة في معاجمها تتوزع على ثمانية روافد، مع تفاوت في إسهاماتها، وهذه الروافد هي: الاشتقاق الدلاليّ الجزئيّ، والاشتقاق اللفظيّ، والارتجال، والوضع بالمجاز، والوضع بتوسيع الخاصّ أو تخصيص العامّ، والنحت، والتعريب وما إليه، والإبدال والقلب.

- الاشتقاق أهم وسيلة لاستحداث الألفاظ لما يُسْتحدث من المعاني.

- يرى الدكتور جبل أنّ الطريق للاستدراك على المعاجم يكون بمراجعة

دواوين النتاج اللغوي الرفيعة المستوى، في الشعر والنثر وسائر المؤلفات التي أخرجت للناس بعد نطق الاحتجاج؛ لالتقاط ما فيها من الجديد.

- النُّطُقَ التي جعلها القدماء معايير للاحتجاج اللغوي كانت لها فوائد، كما شابتها بعض الشوائب.

- إيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التي حَدَّدُوها، يعني الحكم بإيقاف نموّ اللغة – في متنها ودلالتها – عند الحدّ الذي وصلت إليه في تلك الحقبة، وذلك شيء يضاد طبيعة اللغة، التي تجاري تجدد الحياة مجاراة حتمية.

- دعا إلى ضرورة إعادة النظر في معيار الفصاحة أو السلامة اللغوية، بحيث لا يُحْكم على كل جديد في اللغة بأنه مُوَلَّدٌ بمعنى أنه خطأ مرفوض.

- ومِنْ ثَمَّ دعا إلى فتح باب الاستشهاد، فلا ينبغي أن نقف بالسماع والاستشهاد عند النُّطُق التي حددها القدماء.

- اقترح الدكتور جبل عددًا لا بأس به من الأسماء الجديدة لبعض المسميات الحديثة، حيث اقترح ثلاثين اسْمًا، لخمسة وعشرين مُسَمًّى، ويمكننا القول بأن الأسماء المقترحة بلغت ثمانية وثلاثين

اسمًا([1])، وكان يعتمد في هذا الاستحداث على الاشتقاق، ما عدا موطن واحد فقط فاعتمد فيه على النقل([2])

- بعد عرض هذه الأسماء التي استحدثها تبين لنا أنه مسبوق في واحد منها فقط، وهو: الحسَّابة، للآلة الحاسبة.

- الأسماء التي اقترحها جاءت جميها مفردة ما عدا اسمًا واحدًا فقط جاء مركبًا، وهو: مِبْرَقَة العرائض.

- كان يقترح – أحيانًا – أكثر من اسم للمسَمَّى الواحد، إما من جذر واحد وإما من جذرين مختلفين.

- ذَكَرَ مأخذ الاسم المقترح أو عِلَّة تسميته لثلاث وعشرين اسْمًا، ولم يذكر شيئًا من ذلك لخمسة عشر اسْمًا.

([1]) سبق تعليل ذلك.

([2]) ذلك عندما اقترح إطلاق اسم: المَقَنْطِر على الملياردير. ينظر: علم الاشتقاق، ص٦٧.

التوصيات:

- أُوصي الباحثين والإعلاميين بالعمل على نشر تلك الأسماء التي يستحدثها اللغويون، والمجامع اللغوية كي لا تموت أو تندثر.

- دراسة جهود المحدثين أفراداً وهيئات في مجال تنمية الثروة اللفظية، للوقوف على إسهامهم في هذا الشأن، والعمل على نشر ما يمكن قبوله منه.

- دراسة جهود الدكتور جبل في ميدان الدرس اللغوي عامّة؛ لما فيها من جِدّة وأصالة.

فهرس المصادر والمراجع

- الاحتجاج بالشعر الواقع ودلالته، د. محمد حسن جبل، ط، دار الفكر العربي، القاهرة.

- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، لابن الأكفاني، تحقيق عبد المنعم محمد عمر ، ط، دار الفكر العربي، القاهرة.

- الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس، د. محمد حسن جبل، ط، دار الفكر العربي، القاهرة.

- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، تحقيق د. محمود سليمان ياقوت، ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

- تعليل الأسماء، د. محمد حسن جبل، ط، التركي، طنطا.

- الثروة اللفظية في اللغة العربية ، د. محمد أحمد حماد، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- الثروة اللفظية وسبل تنميتها، د. عيد محمد الطيب، الناشر: مكتبة الرشد، بالرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

- الحروف، لأبي نصر الفارابي، تحقيق/ محسن مهدي، ط٢، ١٩٩٠م، دار المشر

ق، بيروت.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م – الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ، ط١٦، ٢٠٠٤م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- الرسالة، الإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

- علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن حسن جبل، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٣، ١٠٠٤م، نهضة مصر.

- فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق د. ياسين الأيوبي، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، المكتبة العصرية، بيروت.

- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ط، دار الفكر.

- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

- في فقه اللغة، د. عبد العزيز أحمد علام، د. عبد الله ربيع محمود، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تحقيق/ د. علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، أحمد فارس الشدياق، ط، ١٢٨٨هـ، مطبعة الجوائب، الآستانة العلية.

- لسان العرب، لابن منظور، ط، دار المعارف، مصر.

- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث، القاهرة.

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، ط١، ٢٠١٠م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، ط، ١٩٧٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن جبل، ط١، ١٤١٦هـ ٢٠٠٥م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- مقدمة الصحاح ومداس المعجمات العربية، أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.